

# حزب البعث

تاريخه وعقائده

د. سعيد بن ناصر الغامدي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه  
أما بعد :  
فقد أذنت للأهوية الموقر بين في ( المكتبة الإلكترونية في منتدى العالي )  
بنسخ كتابي ( حزب البعث تاريخه وعقائده ) ونشره في موقعهم  
بإضافة منه ، بحيث يكون النص كما هو في الكتاب المطبوع من غير  
زيادة أو نقصان ، إلا ما أضيفته لهم في ورقة مستقلة .  
أملاً أن يحتضروا في نشره بطريقة يسلم فيها الكتاب من أي  
تحريف أو إضافة كصيغة PDF أو غيرها مما يحقق هذا الغرض .  
سأثلاً لله تعالى أن ينفع بالجهود وأن يبارك في العمل وأن يكتب  
لهذا المنتدى والعاملين فيه النجاح والقبول ،  
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

ركتبه  
سعيد بن ناصر الغامدي

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فهذه نبذة موجزة عن حزب البعث وعن تاريخه وعقائده.

● ظهرت فكرة القومية كمدلول فكري وسياسي في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.

وبدأ مفهوم القومية بالانتشار في صفوف المثقفين والأدباء الألمان كردّ فعل منهم بعد هزيمتهم أمام الفرنسيين.

ثم انتشرت الفكرة القومية في البلدان الأوروبية الأخرى معتمدة على النفوذ العلماني الذي شاع نتيجة للدين النصراني المحرف والعقيدة النصرانية التي أصبحت عقائد مختلفة متعارضة متعادية في قضية الألوهية والنبوة وغيرها، ونتيجة للطغيان الكنسي والاستبداد الروحي للبابا ورجال دينه.

واستطاعت القومية بمضامينها العلمانية ("اللا دينية") أن تقوض الإمبراطوريات الأوروبية. وفي أوائل القرن العشرين - الذي يعتبر سياسياً - قرن ظهور القوميات، بدأت فكرة القومية تنتشر في أفريقيا وآسيا، واستهدفت أولاً تمزيق الوحدة الإسلامية التي كانت تتمثل في دولة الخلافة العثمانية ("الرجل المريض") كما كانت تسميه الدول الاستعمارية.

وقد وجدت القومية طريقها في أجواء: ضعف الدولة العثمانية وجهل الأمة الإسلامية بدينها وسيطرة ذوي الاتجاهات المشبوهة على مواطن النفوذ.

واستطاعت أن ترسخ جذورها من خلال الجمعيات السرية اليهودية والماسونية والنصرانية من خلال أصحاب المناصب المنتمين سرّاً إلى هذه الجمعيات فظهرت في العالم الإسلامي قوميات متعددة متناقضة متشاكسة مزقت وحدة هذه الأمة وفتت قوتها وشتت جمعها. فكانت القومية الطورانية في تركيا والقومية العربية والقومية الكردية والبربرية والفارسية والبشتونية والبنغالية والزنجية، ثم فرخت كل قومية من هذه القوميات فروحاً قومية أخرى، وكلما جاءت واحدة لعنت أختها، ولكنهم جميعاً تظاهروا على تمزيق الوحدة الإسلامية على تفاوت بينهم في التأثير والعداوة.

• وسوف أتكلّم هنا عن القومية العربية وبشكل خاص عن حزب البعث العربي الاشتراكي.

بدأت فكرة القومية العربية على يد النصارى العرب كما بدأت فكرة القومية الطورانية في تركيا على يد يهود الدونمة وعناصر الماسون.

وكانت القومية العربية متمثلة في بداياتها في حركات سرية اعتمدت على المدارس التبشيرية وتسترت بالجمعيات الأدبية والنشاطات الصحفية والتأليفية.

يقول جورج انطونيوس وهو نصراني لبناني وأحد قدامى القوميين العرب في كتابه "يقظة العرب/تاريخ حركة العرب القومية" ص 71.

[بدأت قصة الحركة القومية للعرب في الشام سنة 1847 م بإنشاء جمعية أدبية قليلة الأعضاء في بيروت في ظل رعاية أمريكية].

ويقول في ص 97 [وهذه الحركة القومية هي نتيجة من نتائج البعثات التبشيرية الغربية التي يرجع وجودها في بلاد الشام إلى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي].

ويقول في ص 105 [واستثمر المبشرين الأمريكان جهود اثنين من العلماء هما نصيف اليازجي وبطرس البستاني فعهدوا إليهما بتأليف كتب مدرسية مختصرة في شتى الموضوعات وما كاد يتم تأليف هذه الكتب وإقرارها حتى طبعوها في مؤسستهم ووزعوها في جميع أنحاء البلاد]. ونصيف اليازجي وبطرس البستاني من نصارى لبنان.

ويقول في ص 106 وص 107 عن البعثة الأمريكية وأثرها في نشوء الفكر القومي: [وبعد أن حلوا مشكلة الكتب المدرسية اعترضتهم مشكلة أخرى هي تخريج المعلمين المؤهلين فوجدوا لها حلاً في تحويل المدرسة العالية التي أسسوها في بلدة عبية بجبل لبنان إلى كلية لإعداد المعلمين وتدريبهم، وما أن وافت سنة 1860 م حتى كانوا قد أسسوا ثلاثاً وثلاثين مدرسة تضم نحو ألف تلميذ خمسهم تقريباً من البنات وتوجوا أعمالهم في ميدان التربية والتعليم بإنشاء الكلية البروتستانتية السورية في بيروت سنة 1866 م. - إلى أن يقول - وبذلك كان لجهودهم أكبر الفضل فيما تميزت به الحركات الأولى للنهضة العربية من جيشان فكري.

ويقول بعد ذلك: [ولم تكن البعثات التبشيرية الكاثوليكية أقل نشاطاً من منافستها البعثات المشيخية].

ويتحدث جورج أنطونيوس عن نموذج تخرج في هذه المدارس وتبنى أفكارها وهو ناصيف اليازجي - وهو نصراني من لبنان - كان من رواد الحركة القومية وأحد منظريها آنذاك، قال عنه جورج أنطونيوس [...] وكان من الطبيعي أن يتجه إليه الأمريكان يطلبون منه العون على إصدار كتب في علوم اللغة العربية التي يعرفها..

وكانت طرافة دعوته وجدتها تثيران انتباه الناس لأنه كان يتجه بها إلى العرب على اختلاف عقيدتهم النصارى والمسلمين جميعاً وكان يهيب بهم أن يتذكروا تراثهم المشترك وأن يشيدوا على

أسسه مستقبلاً يجمعهم إخواناً متآلفين ونشأ أطفاله الإثني عشر بنين وبنات على هذه الآراء وأعداهم بحماسة حتى بلغ من تأثر أحد أبنائه بتعاليم أبيه أن أصبح فيما بعد أول من نادى بالتححر القومي للعرب [كتاب يقظة العرب ص 109، ص 112].

وهكذا كانت النشأة الأولى للقومية العربية، بل واستمرت تنتشر وتزدهر على أيدي النصارى وأبناء الأقليات غير المسلمة حتى استقطبت عدداً محدوداً من أبناء المسلمين، ثم فشا وباؤها حتى أصبحت لها حكومات وأنظمة تتبناها وتدعو إليها.

وقبل أن أدخل في مرحلة انتشار القومية أودّ أن أذكر أهم الجمعيات ذات التوجه القومي والتي تعتبر إرهاباً وأساساً للواقع القومي المعاصر.

وهي منقولة من الموسوعة الميسرة ص 401 بحسب التسلسل التاريخي:

1 - **الجمعية السورية:** أسسها نصارى منهم بطرس البستاني وناصر اليازجي سنة 1847 م في دمشق.

2 - **الجمعية العربية السرية:** ظهرت سنة 1875 م ولها فروع في دمشق وطرابلس وصيدا.

3 - **جمعية حقوق الملة العربية:** ظهرت سنة 1881 م ولها فروع في المدن العربية، وكانت تنادي بوحدة المسلمين والمسيحيين.

4 - **جمعية باسم رابطة الوطن العربي أو عصبة الوطن العربي:** أسسها نجيب عازوري عام 1904 م وقد جاهر بالدعوة إلى استقلال سورية عن الدولة العثمانية،

وأصدر عام 1905 م كتاب «يقظة الأمة العربية» وأسس مجلات وجرائد في فرنسا ومصر والقدس ولبنان.

5 - **جمعية الوطن العربي:** أسسها سنة 1905 م بباريس خير الله خير الله وهو نصراني أيضاً ومن طائفة المارون، وقد نشر في هذه السنة كتاباً قومياً مؤصلاً بعنوان «الحركة الوطنية العربية» وأنشأ فيما بعد المجلة السورية ثم جريدة الحرية ثم وضع كتاباً سنة 1919 م بعنوان «المناطق العربية المحررة» ثم أسس مع خمسة من نصارى لبنان في باريس «الحزب الاشتراكي - الفرع العربي من الأمية العمالية» ثم دمج مع الحزب الاشتراكي المصري وأطلق عليه «التحالف الاشتراكي الشرقي».

6 - **الجمعية القحطانية:** ظهرت سنة 1909 م وكانت جمعية سرية من مؤسسيها جورج أنطونيوس وهي أول جمعية سياسية ثورية عربية محددة الأهداف في العصر الحديث، كما تقول الموسوعة السياسية ذات المنشأ القومي البعثي.

7 - **جمعية العربية الفتاة:** أسست في باريس 1911 م على يد مجموعة من الطلاب العرب منهم محمد البعلبكي.

8 - **الكتلة النيابية:** ظهرت سنة 1911 م.

9 - **حزب اللامركزية:** سنة 1912 م.

10 - **جمعية العلم الأخضر:** وهي رابطة طلابية قومية عربية، أنشئت في الآستانة عام 1912 م وأصدرت هناك مجلة لسان العرب.

## 11 - الجمعيات الإصلاحية: في أواخر 1912 م وقد قامت

في بيروت ودمشق وحلب وبغداد والبصرة والموصل وتتكون من خليط من أعيان المسلمين والنصارى.

إلى آخر تلك الجمعيات التي تسترت بأثواب الثقافة والأدب والتأليف والصحافة والعلم ونشرت من خلال هذه الأردية أفكارها وعقائدها حتى ربت أبناء المسلمين على القومية والعلمانية وغرست في نفوسهم بغض الإسلام أو على الأقل إزاحة الإسلام وتنحيته من واقع الحياة.

وأصبحت القومية العربية تياراً قوياً في الستينيات الميلادية حين تبناها جمال عبد الناصر ودعا إليها وسخر لها أجهزة إعلامه وإمكانات دولته العسكرية والمادية وغيرها.

وانتفخت شعبيتها من خلال الكتاب والأبواق الإعلامية فاستقطبت أعداداً من دهماء الناس الذين كانت آذانهم أوعية لألفاظ عبد الناصر وعبارات أحمد السعيد من خلال إذاعة صوت العرب وغيرها.

وخذع الناس بزعيم القومية العربية وتصوره المنقذ لأنه خادعهم فصور لهم الوحدة مع سوريا أنها بداية وحدة الأمة في حين أنها كانت وبشهادة القوميين أنفسهم وعلى رأسهم حزب البعث مجرد خيانة وتسليط، وصور لهم أنه المدافع عن الإسلام في الوقت الذي قتل فيه دعاة الإسلام وفعل بهم ما لم تفعله محاكم التفتيش في مسلمي الأندلس، وصور لهم أنه سيلقي إسرائيل في البحر فابتلعه إسرائيل ومزقت قوته وأجهزته، وبعد حين من الزمن تبين للجميع أن هذا الانتفاخ القومي الناصري لم يكن سوى طبل كبير لما وخزته إبر التجارب والواقع لم تجده شيئاً.

وقد تصدى لهذا المد القومي فئة من أخيار المسلمين وكشفوا آئذ زيفه وأظهروا تناقضه مع الإسلام ومع الحقيقة و، كان من هذه الفئة المباركة في بلدنا هذا: الملك فيصل - يرحمه الله -



فقد شعر بخطر القومية العربية وعلم أنها ضد الإسلام فأحيا مشروع التضامن الإسلامي وسعى فيه بنفسه، وسعى في بث الإسلام وعقيدته ومناهجه في البلدان الإسلامية وخصوصاً العربية، وشجع الكتاب الإسلاميين، ونشر فضائح عبد الناصر ومخططاته وألأعييه، وتبنى القضية الإسلامية بصدق وإخلاص، فدافع عن دعاة الإسلام واستخرجهم من سجون القوميين في مصر وسوريا وآواهم وحماهم.

نعم لقد علم - يرحمه الله - أن العقيدة القومية لا يمكن أن تقاوم بغير العقيدة الإسلامية العملية الحية.

ولم يكتف بذلك فقد استخدم قوته السياسية والاقتصادية في هذا المجال، فكان - يرحمه الله - من أكبر المقوضين للفكرة القومية الناصرية وهذا هو سر حقد القوميين عليه.

وقد دونت جوانب من هذا الصراع في كتاب الأستاذ محمد أحمد باشميل "لهيب الصراحة يحرق المغالطات"، فقد كان جزاءه الله خيراً من أوائل المنتبهين لهذه المخاطر والمتصدين لها في بلدنا هذا فجزاه الله خير الجزاء.

وبعد أن انقشع غبار القومية المتمثلة في الناصرية وعاشت القومية العربية فترة جمود وانحسار ظهرت الآن من جديد في ثوب آخر اسمه "حزب البعث العربي الاشتراكي" فما هو حزب البعث؟.. وما تاريخه؟.. وما أعماله؟.. وما هي عقيدته؟.. ومن هم شخصياته ورموزه؟..

هذا ما سيأتيك بعد قليل:

**أولاً: حزب البعث العربي الاشتراكي:**

هو حزب قومي علماني يقوم على ثلاثة مبادئ هي:

«الوحدة , والحرية , والاشتراكية».

يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والأفكار والعقائد والقيم لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي شعار هذا الحزب هو «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة» .

وسوف نذكر معاني هذه الجمل ومحتويات هذه العبارات عند الكلام عن عقائد البعث وأفكاره.

إلا أنه من المناسب هنا ونحن نتحدث عن تعريف حزب البعث أن ننقل كلام مؤسسه ميشيل عفلق في كتابه الشهير عند البعثيين: «في سبيل البعث» وهو كتاب عرّفت به موسوعة السياسة - ذات النشأة والسلك البعثي - فقالت ج 4 ص 653:

[كتاب فكري وسياسي هام , يحدد معالم الأفكار والنظريات والمبادئ القومية العربية التي يدعو إليها المفكر العربي ميشيل عفلق المؤسس لحزب البعث العربي الاشتراكي , كما يلخص الخطوط العامة والنواة الأساسية لعقيدة البعث وأيديولوجيته القومية.

- إلى أن قالت - ص 654 - يعرض الكتاب الخطوط العامة لعقيدة البعث وأيديولوجيته القومية ويحدد نظرة البعث ومفهومه للقومية العربية والوحدة والاشتراكية والديمقراطية وذلك من خلال منظوره الانقلابي الثوري الذي يطمح إلى بناء المجتمع العربي الديمقراطي الاشتراكي الموحد. ونجد في هذا الكتاب النواة الأساسية لفكر ميشيل عفلق وبالتالي لفكر البعث العربي الاشتراكي.

-ثم تقول الموسوعة بعد ذلك وفي ص 655

«ومن الجدير ذكره أن هذا الكتاب الفكري والسياسي الهام يعتبر المادة الأساسية في تنقيف البعثيين وفي نشر فكر البعث وأيديولوجيته القومية»، ولأجل هذه المنزلة التي تبوأها هذا الكتاب عند البعثيين فسوف يكون النقل عنه كثيراً في هذا البحث.

يقول عفلق في كتابه هذا ص 186 – 189 تحت عنوان: القومية العربية والنظرية القومية:

[ إن القومية العربية لدى البعث هي واقع بديهي يفرض نفسه دون حاجة إلى نقاش أو نضال.

- إلى أن يقول - أما النظرية القومية فهي التعبير المتطور عن هذه الفكرة الخالدة حسب الزمان والظروف، وأن هذه النظرية تتمثل اليوم حسب اعتقادنا في الحرية والاشتراكية والوحدة، وبهذا التفريق تتسع القومية العربية لكل هذا الواقع الغني الممتد عبر عصور التاريخ في جميع أقطارنا، فهي تحتضن هذا التاريخ وتتغذى به وتؤلف من عناصره المختلفة تجربة واحدة موحدة.

● ثم يضيف موضحاً مراده بالقومية والعروبة فيقول:

قومية بمعنى أن فيها الشروط الابتدائية لكل قومية، وعربية بمعنى أن فيها التطور الخاص بالأمة العربية عبر مختلف العناصر والحضارات والأزمنة، وأن الصفة العربية المشتركة التي وحدت بين هذه العناصر جميعاً هي التي استمرت دون انقطاع، وكانت اللغة العربية أبرز عنوان لهذا الاستمرار بما تتضمنه اللغة عادة من وحدة في التفكير وفي المبادئ والمثل وبهذا المعنى فقط يأخذ التاريخ قيمة في قوميتنا.. فنحن لا ندخل التاريخ في قوميتنا ليكون صورة وقودة بل لأنه التربة الحية التي نما فيها وعينا وتصحح وتكامل حتى بلغ هذه المرحلة الحاضرة التي نعبر فيها عن قوميتنا الإيجابية بكليتها.

● ثم يضيف مبيناً موقفهم من الدين والتراث وأنه موقف الآخذ وفق الرغبة وعلى قدر ما تدعو إليه حاجة التزويق من أجل النفوذ في الأوساط - قال: وليس المهم أن تكون شتى المعاني السلبية والإيجابية كالعنصر والدين والتراث التاريخي قد أسهمت في الماضي في صنع هذه القومية وتداخلت فيها، ولكن المهم هو المعنى الذي نستخرجه من كل ذلك في مرحلتنا الحاضرة، مرحلة انبعاث وخلق المستقبل العربي.

ثم يتكلم عن معنى شعارهم [أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة] فيقول:

[المهم أن نعرف أن هذه القومية التي وصفناها بالخلود وبأنها تفترق عن المضامين المختلفة التي تعبر بها عن نفسها خلال الزمن وبالتفاعل مع الحوادث والظروف - لا يعني الخلود فيها جموداً وإنما يعني ثباتاً واستمراراً للحد الأدنى من المقومات تبنى عليها وتنسج حولها تعبيرات متنوعة متجددة فهي خلق، دائم - إلى أن قال - فهي بهذا المعنى تخلق المستقبل وتخلق الماضي نفسه].

وقبل الاسترسال مع أقوال عفلق في شرحه لفكرة البعث أود أن أنبه أن في النص السابق قضية مهمة وهي قوله عن القومية بأنها تفترق عن المضامين المختلفة التي تعبر بها عن نفسها خلال الزمن.

وهذه القضية ملخصة في أن القوميين بعمومهم والبعثيين على وجه الخصوص يقولون:

«إن العبقريّة العربيّة والوجود العربي والمقومات العربيّة عبرت عن نفسها بأشكال شتى ومضامين مختلفة خلال الماضي فمثلاً عبرت ذات مرة عن نفسها بشريعة حمورابي ومرة أخرى بالشعر الجاهلي وثالثة بالإسلام» (وفي هذا المعنى بالذات يقول عفلق ص 106 [فهذه الأمة التي أفصحت عن نفسها وعن شعورها بالحياة إفصاحاً متعددًا متنوعاً في تشريع حمورابي وشعر الجاهلية ودين محمد وثقافة عصر المأمون]).

فهم يعتبرون الإسلام ونبى الأمة محمد صلى الله عليه وسلم مرحلة من مراحل التعبير القومي ليس إلا.

وهو في النص السالف ذكره يوضح أن القومية العربية المتمثلة في الفكرة البعثية تفترق عن المضامين المختلفة التي عبرت بها القومية عن نفسها خلال الزمن - حسب زعمهم - إذن من

منطوق كلامه يتبين لنا أن القومية البعثية شيء والإسلام شيء آخر وسوف نبين ذلك بما هو أوضح من هذا.

### ثانياً: تاريخ حزب البعث العربي الاشتراكي:

يبدأ تاريخ هذا الحزب برجل من نصارى سوريا اسمه ميشيل يوسف عفلق المولود في دمشق سنة 1910 م.

وسوف نذكر شيئاً عن حياته هنا مأخوذة من أول كتابه في سبيل البعث ص 7 - ص 12 وهي الترجمة نفسها التي نشرتها مجلة الدستور البعثية عندما هلك عفلق.

تأثر بأدب المهجر وكتابات إسماعيل مظهر والشميل، وشمل اطلاعه التراثي على لزوميات أبي العلاء وديوان المتنبي.

وقرأ روايات جرجي زيدان عن التاريخ الإسلامي، وكان لذلك كله أثر في صياغة عقله وفكره إضافة إلى نشأته في البيت النصراني والأسرة العريقة في دين النصارى المنتمية إلى الكنيسة الشرقية.

سافر إلى باريس بعد إنهاء الدراسة الثانوية وهو في الثامنة عشرة من عمره للدراسة في كلية آداب السربون، وحصل منها على الشهادة الجامعية في التاريخ وهناك تشكل الإطار القومي لعفلق وانضم إلى جمعيتين قوميتين هما الجمعية العربية السورية وجمعية الثقافة العربية.

وفي باريس اطلع على أعمال الكتاب والفلاسفة الأوربيين أمثال لنيثشه وماركس ودوستوفسكي وتولوستوي وبيرغسون وأناطول فرانس وأندريه جيد.

وبدأ يدعو هناك بين الشباب العرب المشاركة والمغاربة إلى القومية العربية الموحدة، وقد وجدت هذه الدعوة استجابة لدى بعض الشباب العرب وبخاصة أصدقائه ومنهم صلاح الدين البيطار الذي كان يدرس الفيزياء آنذاك فتعاهدوا على العمل معاً، وعادا إلى سورية عام 1933 م محملين بالأفكار القومية والثقافة الأجنبية متشبعين بالفكر القومي الذي تلقوه في أوروبا ووفدوا به على البلاد الإسلامية.

ومن العجيب في هذا الصدد أن عفلق بعد ذلك بسنوات وبالتحديد في عام 1941 م حذر من القومية التي تأتي من أوروبا وبين أنها من الأخطار والمفاسد فقال في كتابه في سبيل البعث ص 137:

«إن هذه القومية التي تأتينا من أوروبا مع الكتب والمجلات تهددنا بخطر مزدوج فهي من جهة تنسينا شخصيتنا وتشوهها ومن جهة أخرى تسلبنا واقعنا الحي وتعطينا بدلاً منه ألفاظاً فارغة ورموزاً مجردة».

فما أصدق وصفه هذا على حاله وما أكثر تطابقه مع ما قام به من عمل.

بعد عودة عفلق والبيطار من باريس عملاً في التدريس ومن خلاله أخذاً ييثان أفكارهما بين الزملاء والشباب والطلاب درساً في ثانوية واحدة هي مدرسة التجهيز الأولى وكانت أكبر مدارس دمشق وأهمها.

درس عفلق مادة التاريخ والاجتماعيات بينما درس البيطار الفيزياء والفلك.

كانت التوجيهات الأدبية واضحة لدى عفلق إذ نشر عدداً من القصص القصيرة والقصائد، كان يطمح أن تكون على مستوى عال من الإبداع والحداثة ليوصل من خلالها أفكاره تحت ستار الأدب.

وفعلاً أخذت هذه الأفكار تستقطب حولها عدداً من الشباب من طلبة المدارس والجامعات وفتة المثقفين.

وفي عام 1941 م أسس البيطار جماعة سياسية منظمة باسم الإحياء العربي جمعت الذين اقتنعوا بطروحات عفلق، ثم أصدر بالاشتراك مع الماركسيين مجلة الطليعة سنة 1934 م ومنذ حزيران في هذه السنة أصبحت بيانات الحركة تحمل اسم "البعث العربي" ولكن الحزب لم يأخذ هذه التسمية إلا فيما بعد.

وفي عام 1945 م افتتح أول مكتب للحزب بدمشق ولم يكن عدد أعضائه يومذاك يتجاوز الأربعمئة ثم جرى تنظيم الحزب عسكرياً وفي عام 1946 م أصدر جريدة البعث اليومية، وفي نيسان 1947 م تم تأسيس الحزب تحت اسم "حزب البعث العربي" وافتتح ميشيل عفلق المؤتمر التأسيسي الأول للحزب وفيه أقر دستور الحزب ونظامه الداخلي وجعل عفلق "عميداً" وهو المنصب الذي أطلق عليه فيما بعد "الأمين العام".

وكان من المؤسسين لهذا الحزب: غير عفلق والبيطار جلال السيد، وزكي الارسوزي، وفي عام 1953 م اندمج حزب البعث والحزب العربي الاشتراكي الذي كان يقوده أكرم الحوراني في حزب واحد سمياه حزب البعث العربي الاشتراكي ثم أصبح الحزب بعد ذلك يقوم بأدوار فاعلة في الانقلابات والحكومات التي تعاقبت على سوريا.

وأظهر مشاركة لهم كانت في حكومة اللواء سامي الحناوي التي بدأت في 1949 م

بانقلاب ضد صاحب أول انقلاب عسكري في سوريا حسني الزعيم، فقد أشرك الحناوي في الحكومة ميشيل عفلق وأكرم الحوراني قبل اندماجهما، وانتهت حكومة الحناوي في العام نفسه بانقلاب أديب الشيشكلي، واستمرت حكومة الشيشكلي من عام 1949 – 1954م.

وقد أشرك بعض البعثيين في الحكومة ولكنهم كانوا يضيقون ببعض توجهاته الإسلامية

ومنها: إعلان الدستور الجديد 1950 م الذي اعتبر الدين الإسلامي مصدراً أساسياً للتشريع - وعلى ما تنطوي عليه هذه العبارة السلوية نسبة إلى عبد الله بن أبي سلول من سوء حيث إنه يصح - بناء على منطوقها - أن يكون هناك مصادر للتشريع غير الإسلام إلا أن الإسلام هو الأساسي - ومع ذلك اعتبر البعث هذا الدستور رجعيّاً فقاموا من خلال ضباط البعث في الجيش بأول انقلاب بعثي في حلب، فاهتزت حكومة الشيشكلي فغادر البلاد واستلم الحكم شكري القوتلي سنة 1956 م وكانت هذه المرة الثانية له، والأولى كانت بعد استقلال سورية عام 1946 م وانتهت عام 1949 م بانقلاب حسني الزعيم.

ومع أن البعثيين كانوا - فيما يزعمون - وراء إزالة الشيشكلي إلا أنهم لم ينالوا في حكومة القوتلي مكاسب تذكر، بيد أن ذكرهم في سورية وغيرها تعاضم. وسعوا في هذه الأثناء للتوحد مع مصر فكانت الوحدة السورية المصرية عام 1958 م فتنازل القوتلي لصالح حكومة الوحدة.

وتولى عبد الناصر زعامة القومية العربية وسحب البساط من تحت البعث وكان قد طلب منهم حل أنفسهم كشرط لقبول الوحدة، فحلوا حزبهم وحصل بسبب ذلك انشقاقات وتصفيات بين الناصريين والبعثيين من جانب وبين البعثيين أنفسهم من جانب آخر.

كانت حكومة الوحدة برئاسة عبد الناصر من سنة 1958 - 1961 م وقد شارك فيها البعث وكان لهم عدة مقاعد في الحكومة، إلا أن دعاة الوحدة والقومية والاشتراكية ما لبثوا أن تخاصموا وتهارشوا على المغنم والمكاسب المادية والمعنوية.

وكان نجم عبد الناصر في سطوع وصيته يزداد بعداً ومكانته ترتفع فسحق بذلك رجال البعث مما أدى إلى تدميرهم فوقفوا ضد الوحدة.



يقول زهير المارديني في كتابه "الأستاذ" وهو ترجمة موسعة لميشيل عفلق ص 240: [ولا يستطيع أحد من البعثيين أن ينكر وقوف الحزب - باستثناء ميشيل - ضد الوحدة لأن الدليل قائم على ذلك].

وفعلاً حصل الانفصال وقاده عبد الكريم النحلاوي ورأس الحكومة ناظم القدسي ودامت حكومة الانفصال من سنة 1961 - 1963 م وكان للبعث فيها صولات وجولات.

حتى قاموا بانقلابهم العسكري في 8 آذار 1963 م، وفي الفترة نفسها تمكن البعث في العراق من القيام بثورة بعثية ضد عبد الكريم قاسم في 8 شباط 1963 م وتحرك الحزبان في سوريا والعراق لإقامة الوحدة بينهم مع مصر ولكن هذه الوحدة ماتت قبل أن تولد.

ذلك أن الصراع بين البعثيين والناصريين في البلدان الثلاثة لم يتوقف مما أدى كما تقول موسوعة السياسة ذات التوجه البعثي في ج 3 ص 300 (أدى إلى الاضطرابات من جديد مما اضطر البعث إلى تأسيس محاكم أمن الدولة لإبطال فعالية المعارضين الناصريين) .

وهذه هي نهاية الوحدة بين القوميين ذوي الاتجاه والشعار والمشروع الواحد، وكانت نتائج المحاكمات المذكورة تصفيات هائلة للرفاق الناصريين.

أما حكومات البعث التي استولت على سوريا منذ سنة 1963 م حتى الآن فقصتها طويلة جداً بدءاً بحكومة قيادة الثورة التي كان رئيس وزرائها صلاح البيطار ومروراً بحكومة أمين الحافظ من سنة 1963 - 1966 م.

ثم حكومة نور الدين الأتاسي من سنة 1966 - 1970 م إلى أن استولى على البلاد حافظ الأسد من سنة 1970 م إلى الآن، وفي هذه الفترة ظهرت أخلاقيات البعث واتضحت أفكاره وعقائده وتبين للناس عموماً وللبعثيين خصوصاً أن الشعارات الزائفة كثيراً ما تخفي تحتها

الخيانة والدسائس والمؤامرات باسم المصلحة والوحدة والحرية والشعب والديمقراطية وغير ذلك من اللافتات.

وفي هذه الفترة من سنة 1963 م إلى الآن حصلت الصراعات الدموية العنيفة والشرسة بين رفاق الدرب الواحد والمبدأ الواحد.

فلم يرقبوا في بعضهم وهم الأصدقاء والزملاء والرفاق إلّا ولا ذمّة فكيف تراهم يصنعون بمن هم تحت سلطتهم ممن ليس ببعثي ولا قومي.

وقد دونت الكتب البعثية وغيرها مآسي هذا الصراع الذي حصل في سوريا، انظر على سبيل المثال الموسوعة السياسية 301/300/3 والأعمال الكاملة لمنيف الرزاز 67/2 - 207، وانظر كتاب الأستاذ لزهير المارديني 295 - 339 وكتاب البعث للدكتور سامي الجندي ص 161 وما بعدها.

وإليك بعض المقتطفات من كلام أعيان حزب البعث حول هذا الصراع فكل يكيل للآخر الشتائم ليس على مستوى الأفراد والتابعين، بل على مستوى الزعامات المؤسسة لحزب البعث، وما نسمعه الآن من شتائم بين إذاعتي سوريا والعراق وما نقرؤه في مجلة الدستور التي تمثل بعث العراق ومجلة الفرسان التي تمثل بعث سوريا ليس إلا امتداداً للصراع والمناطحة بين الرفاق الذين جمعتهم القومية العربية وصهرتهم في بوتقة الثورية والانقلابية تحت لواء الحرية والوحدة والاشتراكية. الحزب الذي أول عقائده الوحدة العربية لم يستطع أن يتوحد لا في سوريا ولا في العراق كما سيأتي.

والحلول عند الخلاف هي القتل فإن فرّ الرفاق بجلودهم فالاتهامات لكل هارب من الإعدام هي أنه: يميني، ديكتاتوري، استغلالي، رجعي، منفذ للاستعمار، أداة للصهيونية، متسلط، مزيف

لإرادة الجماهير، اشتراكه قطرية مستبدة، حاقدا على الوحدة، ظامئ للتسلط والحكم، عدو للقومية.. الخ القاموس.

فأين كان هؤلاء؟ ألم يكونوا قبل الصراع أمل الأمة وقمة وعيها وثمره كفاحها يا للمهازل والمهانة!!

يقول زهير المارديني في كتابه الأستاذ قصة حياة ميشيل عفلق ص 298:

[والحقيقة أن الصراع في حزب البعث سواء على الصعيد النظري - أي على صعيد العقيدة - أم على صعيد السلطة في الحزب والحكم ليس مسألة جديدة، فقد كان الصراع داخل الحزب قائماً منذ نشوء الحزب ودخوله المعتزك السياسي وعلى التحديد منذ أول مؤتمر قطري عقد في دمشق في صيف عام 1957 م والذي انبثق عنه مشروع النظام الداخلي للحزب وأولى انفجارات هذا الصراع كانت في مطلع عام 1958 م عندما وافقت القيادة القومية على حل الحزب في القطر السوري كشرط لقيام الوحدة وتطور هذا الصراع في فترة الوحدة 1958 - 1961 م واشتد في فترة الانفصال 1961 - 1963 م وبلغ أوجهه عندما سقط حكم الحزب الواحد في العراق في 18 تشرين الثاني 1963 م وانتقل هذا الصراع على سوريا بأشكاله القومية والقطرية منذ ذلك التاريخ].

وينقل زهير المارديني في ص 303 عن ميشيل عفلق قوله:

[عندما نكون في اجتماع حزبي نسبة غير قليلة تقدح في الحزب في قياداته وتاريخه وسياسته تماماً كما يفعل الأعداء فهل هناك دليل أقوى وأسطع من هذا على القول بأن الأعداء قد تسربوا إلى حزبنا ونفذوا إليه].

هذه هي خلفية المجموعة القيادية نحو حزبهم، وهذا هو تصورهم له، وفي ذلك أكبر دليل على فساد وفضاله وسوء منبته ومسلكه.

يقول الدكتور سامي الجندي وهو بعثي قيادي تولى منصب وزير الإعلام في سوريا بعد انقلاب 1963 م في كتابه البعث ص 161 كما نقل ذلك الأستاذ منير محمد نجيب في كتابه القيم «الحركات القومية في ميزان الإسلام».

يقول الجندي واصفاً جميع أجنحة البعث المتصارعة [أصبح البعثيون بلا بعث، والبعث بلا بعثيين، أيديهم مصبوغة بالدم والعار، يتسابقون إلى القتل والظلم والركوع أمام مهماز الجزمة].

ويصف الجندي في كتابه البعث ص 130 صورة من صور الحرية لدى البعث فيقول:

[وفي استديو التجربة رأيت ما لا يصدق العقل: رأى أعضاء المحكمة أن يشترك الشعب بمبادئهم فلا تفوته مسرات النصر فعمدوا إلى تسجيل مشاهد الإعدام من المهجع إلى الخشبة عملية عصب العينين والأمر بإطلاق النار ثم يندلق الدم من الفم وتنطوي الركبتان وينحني الجسد إلى الأمام بعد أن تتراخى الحبال نفسها وفمه مفتوح كي يقبل أمه الأرض، لم أقل شيئاً، خرجت فسألني أحد الضباط مرحاً كيف رأيت يا دكتور؟ قلت: أهذا هو البعث؟ قال: لم أفهم، أجبت: لن تفهم. وإذا بالأستاذ البيطار يدخل لاهثاً قال لي: هل صورت فعلاً مشاهد الإعدام؟، قلت: نعم، قال للضباط الموجودين إياكم أن تُنشر إنها قضية عالمية، وظل هناك حتى قص المختصون كل المشاهد المثيرة ولكن بعض الصور تسربت إلى خارج سوريا.. نسمع التأكيد بأن السجناء يرفلون في نعيم مقيم لا ضرب ولا تعذيب.. وصدّقنا، ثم علمنا بعد شهور عديدة أن الرفاق تعودوا عادات جديدة فأخذوا حينما يملون رتبة حياة الآخرين يذهبون إلى سجن المزة بكل وجوديتهم، فتفرش الموائد وتدور الراح ويؤتى بالمتهمين للتحقيق وتبدأ الطقوس الثورية فيفتنون

ويبدعون كل يوم رائعة جديدة. بقي أن نسأل من هو المتهم؟.. كل الناس!. تقرير بسيط على ورقة رفاقية تبدأ بأمة عربية واحدة وتنتهي بالخلود لرسالتنا تعني شهوراً في الزنزانة محطماً مدى الحياة].

أما منيف الرزاز فقد أطنب في وصف مآسي رفاقه البعثيين في كتابه التجربة المرة المجموع ضمن أعماله الكاملة في الجزء الثاني من ص 4 إلى ص 308.

يقول تحت عنوان من هي هذه الفئة ص 258 وص 259:

[هذا هو حكم سوريا الآن وهؤلاء هم حكامها: فئة صغيرة من ضباط الجيش يحركها ويقودها في واقع الأمر قائداً واحداً بدأ تنظيمها داخل جيش الجمهورية العربية المتحدة أيام الوحدة كان لأعضائها جذور في حزب البعث العربي الاشتراكي - إلى أن قال - هدفت الفئة إلى الاستيلاء على الجيش، فباسم الحزب تخلصت أولاً من جميع العناصر المناهضة للحزب انفصالية ووحودية، فلما تم لها الأمر انطلقت تتخلص من الحزبيين الذين لم يرضخوا لقيادة التنظيم ولم يحملوا رسالة الانحراف، باسم تكوين الجيش العقائدي كونت الجيش العشائري.

- إلى أن قال واصفاً شعارات البعث عند رفاقه البعثيين - عقيدة "ومبدأ" رفعت شعار الوحدة، وكان منطلقها قبطياً وحتى لقاءها للثورات كان لقاء قطري وانفصالي.

رفعت شعار الحرية ولم تعرف الحكم إلا تسلطاً وتزييفاً لإرادة الجماهير..

رفعت شعار الاشتراكية واليسار وكانت اشتراكيتهما فوقية قطرية "مستبدة"..

رفعت شعار مقاومة الاستعمار والرجعية وقدمت لهما رأس حزب البعث].

هذا هو البعث مشروحاً بلسان الدكتور منيف الرزاز الذي كان أميناً عاماً لحزب البعث العربي الاشتراكي سنة 1965 م بدلاً من ميشيل عفلق ثم أصبح أميناً عاماً مساعداً لحزب البعث سنة 1977 م وأعدمه حزب البعث في بغداد عام 1984 م ويعتبر من كبار المنظرين والمؤصلين لفكر البعث.

ولا بأس من الاسترسال، ونحن بصدد الكلام عن تاريخ حزب البعث وأعماله وإنجازاته، وسوف أنقل هنا بعض المقاطع من كتاب الرزاز:

يقول في ج 2 ص 161: [ظهر لنا بوضوح أن المعركة ليست معركة الفريق - يقصد أمين الحافظ - إنها معركة استيلاء كامل على الحزب.. وحاولت أن استشير القواعد لتكون حارسة على رسالة الحزب ولتمنع أي استغلال لها].

ويقول ج 2 ص : 162 [في تلك الجلسة تحدثت طويلاً ونددت بهذا التكالب على السلطة على حساب الحزب، وبانحطاط مستوى المعركة إلى مستويات مخجلة.. - إلى أن قال - ولكن المناقشات كانت تطول بشكل مزعج ومثير للأعصاب وتهبط إلى مستويات لا تصدق ولا سيما حين يتحدث النقاش بين الفريق واللواء حافظ أسد ويتبادلان التهم والتهديدات].

وقال ص 175: [ولكن ثمة سبب آخر للخلاف لعلنا لم نفصح عنه فقد تفشى في الحزب مرض آخر من خلال أزماته المختلفة ومن خلال الفراغ الفكري الذي انحدر إليه وهو الولاء الشخصي الذي لم يعد مجرد مرض في الفئة المتسلطة فحسب بل امتد إلى الفئة القومية نفسها، فأصبح في الحزب جماعة صلاح جديد وجماعة الفريق وجماعة البيطار].

وقال في هامش ص 186 مصوراً مدى الثقة التي كان البعثيون يولونها لبعضهم: [كان الفريق - يقصد أمين الحافظ - يأتي إلى الاجتماعات ومعه أربعون من حرسه الخاص ويأتي اللواء الأسد ومعه عشرون ويحتل هؤلاء وأولئك أروقة القيادة وصالونها وغرفها وسلامها].

وقال ص 195: [وفي صبيحة يوم 23 شباط سمعنا أصوات الرصاص ومدفعية الدبابات تقصف وكأننا في معركة وتدوم فعلاً ثلاث ساعات ونصف ونسمع في الراديو نبأ إلقاء القبض علينا وتحويلنا إلى محاكم حزبية جزاء ما اقترفت أيدينا من مقاومة الانحراف.

-ويضيف الرزاز في الهامش - نحب أن نذكر هنا بما قلناه سابقاً من أن جميع الضباط الذين كانوا في القيادة القطرية مع الفريق وضمهم صلاح جديد إلى حلفه قد انتهوا إما إلى السجن وإما إلى اللجوء السياسي ماعداً واحداً منهم وأما الضباط الذين نفذوا العملية فأكثرهم في السجن].

ويقول الرزاز في وصف عدل وحرية حزب البعث صفحة 201 من الجزء الثاني:

[منذ الدقائق الأولى للانقلاب أعلن الانقلابيين أنهم ألقوا القبض على الفريق أمين الحافظ رئيس الدولة، وعلى قائد الحزب ومؤسسه الأستاذ ميشيل عفلق، وعلى أمينه العام منيف الرزاز، وعلى الأمين العام المساعد شبلي العيسمي، وعلى رئيس المجلس الوطني وعضو القيادة القومية منصور الأطرش، وعلى رئيس الوزراء صلاح البيطار، ثم ما لبثوا أن مدوا اعتقالاتهم لتشمل عضوي القيادة القومية جبران مجدلاي، وعلي غنام - وهذا سعودي من أهل الجبيل - ثم لتشمل كل موظف في القيادة القومية لم يرضَ بالتعاون معهم، ثم الأستاذ كمال ناصر شاعر البعث.. ومسعود الشابي التونسي، وجاسم فخرو البحراني، ويوسف عيسى الفلسطيني، وطارق عزيز، وسعاد أديب العراقيين، وكانت شمس كل يوم تحفل مجدداً بأسماء جديدة تضم إلى القائمة المعتقلة

أو المطلوب اعتقالها حتى جاوز عددها المئات ولما ضاقت بهم السجون نقلوا معظمهم إلى تدمير ذلك المعتقل الصحراوي البعيد وحرّموا المعتقلين من كل اتصال مع ذويهم].

ويروي زهير المارديني في كتابه الأستاذ ص 328 وما بعدها تفاصيل حادث الانقلاب وكان معه في صباح ذلك اليوم أحد قيادي حزب البعث وكان هذا القيادي البعثي يقول:

[.. أسمع صوت الرصاص أسمع صوت المدافع إنهم الرفاق يقتتلون، ماذا سيقول الناس عنا ماذا سيقول العرب، لقد أشبعناهم صياحاً بأن الجيش العربي في سورية لن يقاتل إلا أعداء الأمة العربية وها نحن نتذابح.. أنت تعلم أن جميع الحلول السلمية لم تجد نفعاً لقد حاولنا تجنب الاصطدام أرادوها مضمخة بالدم، دم الرفاق].

هذه هي حرية حزب البعث وهذه هي أخلاقياته ورسالته الخالدة ويذكرني هذه الانقلاب بما حصل بين الرفاق الماركسيين في عدن.

وفي كلمه وجهها ميشيل عفلق للبعثيين لتجسيد القيم البعثية والممارسات البعثية قال:

[أيها الرفاق أقول لكم صراحة فلا ينقذنا من أزمنا إلا الصراحة، إن عدداً من رفاقنا العسكريين قد انزلق إلى مزالق التكتل والتسلط على الحزب والشعب وإلى الانتهازية و المصلحية] كتاب الأستاذ لزهير المارديني ص 319.

ثم طلب عفلق من تلامذته وزعماء حزبه أن يحلوا مشكلاتهم بدون تصفيات جسدية وبدون أحقاد. انظر كتاب المارديني ص 322

هذا هو النموذج البعثي وسوف نذكر نماذج أخرى معاصرة عند الكلام عن العراق.



وفي هذا عبرة لأولي الألباب: أن تأملوا ما يعمل به هؤلاء ببعضهم فماذا تتصورون أن يكون عملهم في غيرهم من المسلمين المؤمنين بالله وبدينه وبرسوله وبأحقية شرعه في التطبيق؟؟

”كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمّة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون، اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كان يعملون، لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمّة وأولئك هم المعتدون“

وهذا ما حصل فعلاً فقد توج حزب البعث سلسلة أعماله ومنجزاته بمذبحة حماة سنة 1982 م حتى قال قائلهم أثناء الأحداث ”سأضع في الركام لوحة وأكتب عليها: كان هنا مدينة اسمها حماة“، وقد ضجت الدنيا بما حصل هناك من انتهاك أعراض وسفك ودماء وتدمير ونهب.

ولا ينبغي أن ننسى من أشهر منجزات البعث هو بيع الجولان لليهود سنة 1967 م وقصة الصفقة الموجودة في كتاب سقوط الجولان تأليف خليل مصطفى ضابط الاستخبارات السابق في الجولان.

أما تاريخ حزب البعث في العراق فوجه آخر للعملة البعثية إلا أن قسّمات القسوة والطاغوتية العلمانية ونكهة دمّاء الثورية ورائحة سجون الحرية أكثر وضوحاً وأشدّ جلاءً.

كان أول ظهور فعلي لحزب البعث في العراق في سنة 1958 م حين ائتلف مع أحزاب شيوعية وعلمانية ووطنية في جبهة الاتحاد الوطني ضد النظام الملكي الهاشمي، وفي 14 تموز 1958م تحرك الجيش تسانده تلك الجبهة وأطاح بالنظام الملكي بعد أن لاقى الملك فيصل الثاني وخاله وصي العرش عبد الإله، ورئيس الوزراء نوري السعيد مصرعهم وسحلت جثثهم في الشوارع.

وكان رئيس الجمهورية نجيب الربيعي والحاكم الفعلي رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم وعضوية عبد السلام عارف، وعين أحمد حسن البكر عضواً في المجلس العربي العسكري ثم انفرد قاسم بالحكم ومكن للشيوعيين فعاثوا في العراق فساداً وكانت على أيديهم مذبحه الموصل في آذار 1959م ضد الانتفاضة.

حاول البعثيون في 1959م اغتيال عبد الكريم قاسم ففشلوا فنكل بهم، وفي 8 شباط 1963م استغل البعثيون النعمة ضد قاسم فتحالفوا مع بعض القوى القومية الأخرى وقادوا الانقلاب ضد قاسم وأعدموه ويسمونها ثورة 14 رمضان، وحل محل قاسم حزب البعث وانتخب ضباط الانقلاب عبد السلام عارف رئيساً للجمهورية وهو ليس بعثياً بل لديه بعض التوجهات الإسلامية وقد وصفته موسوعة السياسة 61/4 بالمتزمت فكراً ودينياً ووصفه عفلق باليمني المحافظ المتملق للأوساط الدينية، انظر كتاب الأستاذ 311. وعين أحمد حسن البكر رئيساً للوزراء ثم ظهرت الصراعات بين قيادات البعث بعد قيام هذه الحكومة التي ينسبون ثورتها إليها، وهي صراعات على المكاسب ومواطن النفوذ حصل بسببها تصفيات جسدية وسجن وتشريد لمجموعة غير قليلة من الرفاق البعثيين فما كان من عارف إلا أن طرد البعثيين من الحكومة وأمسك بزمام الأمور في 18 تشرين الثاني 1963م أي بعد مرور تسعة أشهر على ثورته ضد قاسم.

والبعثيون يسمون هذه المرحلة ردة تشرين والعهد العارفي، وينقمون على عبد السلام عارف إلغاء كل الأحزاب السياسية وإقامة نظام الحزب الواحد. انظر موسوعة السياسة 61/4 ولا يستحيون من واقعهم الأسوأ في العراق الآن.

وفي 14 نيسان 1966م سقطت طائرة هيلوكبتر عسكرية بعد السلام عارف وهو عائد من جولة تفقدية للجيش في البصرة فتولى مكانه أخوه عبد الرحمن عارف وسار على نهج أخيه في تنحية البعثيين والناصرين والشيوعيين ولكنه كان ضعيفاً ومع ذلك بقي حتى سنة 1968م.

وفي 17 تموز 1968م تحركت تنظيمات البعث المدنية والعسكرية للإطاحة بعارف،

(وتحالفت مؤقتاً لأسباب ظرفية طائرة خارجة عن نطاق الحزب كما تقول موسوعة السياسة 62/4) مع بعض العناصر في حكومة عبد الرحمن عارف من غير البعثيين مثل عبد الرزاق النايف مدير الاستخبارات العسكرية وعبد الرحمن الداود قائد الحرس الجمهوري، تقول الموسوعة: (وخطط الحزب في الوقت نفسه للتخلص من تلك العناصر في أقرب فرصة ممكنة وهكذا نجحت الثورة كما أرادها واستطاع في 30 تموز أي بعد ثلاثة عشر يوماً فقط التخلص من العناصر المشبوهة بإبعادها إلى الخارج وبذلك أصبحت القيادة القطرية للحزب هي التي تدير قيادة الثورة من خلال مجلس قيادة الثورة وشكلت وزارة أغلبها من البعثيين وأصدقائهم وفي 1973م وسعت الحكومة البعثية التي يقودها أحمد حسن البكر التكريتي قاعدتها - كما تعبر موسوعة السياسة - بإدخال وزيرين شيوعيين ووزيرين قوميين، وفي عام 1973م أعلن عن توقيع البيان المشترك بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي.

وبهذه المناسبة أود أن ألفت النظر إلى أنه بالرغم من الحرب الضروس بين التوجه البعثي والشيوعي إلا أنهم في مواجهة المد الإسلامي يتحالفون، وأقرب صورة لذلك الوحدة اليمنية القائمة الآن.

ولكن هذا التحالف بين البعثيين والشيوعيين في العراق في عام 1973م ما لبث أن تشتت بعد أن بطش البعثيون برفاقهم من الشيوعيين عندما اكتشفوا تنظيماً شيعياً سرياً في الجيش.

يقول ميشيل عفلق: (إن القيادة القطرية في العراق أنزلت نشرة بهذا المعنى إلى قواعد الحزب تحذرهم من ردود الفعل السلبية تجاه الشيوعيين ولكن القيادة القطرية في العراق بكاملها وبدون استثناء مع الأسف مجمعة على التصفية التي قاموا بها طوال تسعة أشهر في كل شهر كانوا يعدمون عدداً من الشيوعيين خمسين، ومائة، ومائة وعشرين، على مرأى من العالم ومسمعه، وهذا العمل لا يرتكبه إلا الحمقى لقد جلبوا عداوة ثلاثة أرباع الدنيا) كتاب الأستاذ للمارديني ص 311.

ولم يقف الصراع عند حد البعثيين والشيوعيين بل أصبح بين البعثيين أنفسهم، بين أحمد حسن البكر وأتباعه من جهة، وصادم حسين وأتباعه من جهة أخرى.

وهي قصة طويلة لم تكتب كل فصولها بوضوح، إلا أن فؤاد مطر رئيس تحرير مجلة التضامن والمشتري من قبل البعث، قد أوضح بعض أبعاد هذا الصراع في كتابه "صادم حسين الرجل والقضية والمستقبل" وهذا الكتاب جوقة مدح وثناء ليس غير.

وفي الفصل الثاني بعنوان قيادة بين قيادتين ص 53 - 74 نقل بعض روائع الصراع بين البكر وصادم، وحاول أن يوظفها لصالح الممدوح طبعاً إلا أنه من ثنايا الأحداث المنقولة تستطيع أن تعلم بوضوح إلى أي مدى بلغت أخلاقيات البعث وحرية.

تبدأ القصة بالتجسس من كل طرف ضد الآخر في جانب منه أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية ومعه خمسة من أعضاء مجلس قيادة الثورة أي ربع أعضاء المجلس المؤلف من 21 عضواً، يتشبث البكر بمنصبه ويصر عليه من خلال دفع هؤلاء الخمسة، وفي الجانب الآخر صدام ومعه بقية أعضاء المجلس وغيرهم يحاولون إزاحة البكر، وفي الأخير بعد أن شعر بكثافة المؤامرة وثقل الضغط أعلن في 16 تموز 1979 م عن تخليه عن رئاسة الجمهورية وعن منصب

الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي وعن عضوية حزب البعث، فأعلن صدام نفسه رئيساً للجمهورية في 17 تموز ثم بدأ بتصفية الرفاق الذين وقفوا في صف البكر وشكل محاكم بعثية في هذا الشأن، وقبض أولاً على خمسة من أعضاء مجلس قيادة الثورة وأبرز الشخصيات في حزب البعث العراقي وهم:

محيي عبد الحسين المعروف بالشمرى وكان أمين سر مجلس قيادة الثورة وقيادياً بعثياً معروفاً، ومحمد عايش قيادي في حزب البعث تولى عدة مناصب منها وزارة الصناعة، وكان عضواً في القيادة القطرية لحزب البعث ويعد من أنشط البعثيين وأكثرهم اندفاعاً، وعدنان حسين من قياديي حزب البعث وتولى منصب نائب رئيس الوزراء التخطيط ورئيس ديوان رئاسة الجمهورية، ثم غانم عبد الجليل، ومحمد محبوب.

وكان صدام قد حذرهم من مغبة التعاون مع البكر في خطاب ألقاه في الحزب قبل إسقاطه البكر قال فيه: «إن معركة الحزب مع نفسه تحسم عندما ينتهي الخطر من أن تتسلق مجموعة يمينية في يوم ما بأية صيغة من صيغ التسلق غير المشروع لكي تحتل مراكز مؤثرة أو قيادية». فؤاد مطر ص 65.

ويكفيك من شر سماعه، إذا كان هذا هو منطوق الحزب مع بعضه فكيف تراه يكون مع غيره.

والخلاصة أن هؤلاء الخمسة أعدموا، وأن المحاكمة البعثية للمؤامرة ضد الحزب والثورة نتجت بإعدام اثنين وعشرين شخصاً وسجن ثلاثة وثلاثين مابين سنة إلى 15 سنة.

وجاء في البيان أن مجموعة متآمرة تسللت على قيادة الحزب والثورة وأنها مجموعة يمينية يرتبط أفرادها بالمخطط الأمريكي وأن حلقات هذا التآمر الخطير تمتد إلى عشر سنوات - أي أيام ثورة

حزب البعث - وأن خيوط هذه المؤامرة تمتد إلى مؤامرة سابقة قام بها البعثيون ضد أنفسهم في سنة 1973 م والتي قام بها حزبي عريق هو عبد الخالق السامرائي بالاشتراك مع ناظم كزاز المسئول عن أمن الثورة حيث قاما باعتقال وزير الدفاع آنذاك حماد شهاب، ووزير الداخلية سعدون غيدان، ومحاولة اغتيال البكر ونائبه صدام. انظر فؤاد مطر ص 65، 66.

ولكي يؤدب حزب البعث جميع أفرادهِ وجميع أفراد الشعب قرر أن يكون إعدام الرفاق الـ 22 بيد رفاقهم في حزب البعث، جاء في البيان الرسمي:

«إن مناضلين من منظمات الحزب المدنية والعسكرية من أنحاء القطر هم الذين نفذوا حكم الإعدام بأسلحتهم». فؤاد مطر ص 63.

ولم تتوقف دموية حزب البعث نحو بعضه عند هذا بل بقيت الصراعات والمؤامرات والإعدامات متواصلة ومنها ما حدث في منتصف كانون الأول عام 1985 م من القبض على 200 عسكري ومسئول في حزب البعث معظمهم في بغداد والموصل للاشتباه في تخطيطهم للقيام بانقلاب وكان من بين هؤلاء المعتقلين الذين لا يعرف مصيرهم إلى الآن: عميدان في الجيش هما (عبد الغني شاهين، وطالب علي عيد السعدون) انظر تقرير منظمة العفو الدولية عام 1989 م ص 259.

هكذا فلتكن العدالة: والحرية وليظل حزب البعث يحمل شعار [أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة]. إنها رسالة داحس والغبراء ومضر وربيعة وبكر وتغلب وحرب البسوس.

ورسالة:

وأحياناً على بكر أحيانا إذا ما لم نجد إلا أحنانا

أما الشعوب التي وطئتها أحذية البعث فلا تسل عن مصيرها، عن مصير شبابها ورجالها وعلمائها ودعاتها ونسائها وأطفالها.

وإذا أردت أن تسأل فخذ الجواب من الصحف الأجنبية ومن منظمة العفو الدولية.

وما حدث لحماية المجاهدة هناك، حدث حلبجة المنكوبة بالهجوم الكيماوي.

وما حدث للدعاة والمسلمين في دمشق وحلب وحمص حدث لإخوانهم الأكراد في السليمانية وشاهنادري، والسيد صديق، بل ما حصل هنا ما هو أشنع وأفزع، فقد رحل المسلمون الأكراد من ديارهم وفرغت الحدود مع إيران لمسافة خمسين كيلاً من أهلها الأكراد.

ويكفيك أن ترحل إلى مخيمات المهاجرين الأكراد في تركيا لترى المأساة التي رسمها حزب البعث بالحديد والنار وغاز الخردل، مسطرة على واقع أولئك المستضعفين الذين لا ذنب لهم إلا أنهم قالوا ربنا الله، والمسلمون في الأرض إخواننا، وإليك بعض ما ذكرته منظمة العفو الدولية في نشرتها المسماة: انتهاكات حقوق الإنسان في العراق، والتي أُلقيت أمام اللجنة الفرعية لمنع التمييز وحماية الأقليات التابعة للأمم المتحدة في آب 1988م، قالت المنظمة في تقريرها ص 2 وص 3:

ظلت منظمة العفو الدولية تتلقى تقارير مقلقة عن حوادث قتل متعمدة على نطاق واسع لمدنيين أكراد غير مسلحين قامت بها قوات الحكومة العراقية، وعن إعدام جماعي لسجناء سياسيين بدون إجراءات قانونية مسبقة. ويبدو أن حوادث القتل هذه استمرت بلا هوادة. وفي هذا البيان، تود منظمة العفو الدولية أن تلفت انتباه اللجنة الفرعية إلى ما تعتقد أنه سياسة منهجية ومتعمدة من قبل حكومة العراق، للقضاء على أعداد كبيرة من المدنيين الأكراد عقاباً لهم على ما يعزى إليهم من تعاطفات سياسية، وانتقاماً من نشاطات قوات المعارضة.

وقد ورد أن أعداداً كبيرة من المدنيين الأكراد، من بينهم نساء وأطفال، مصابون بجروح نتيجة لهجمات كيميائية شنتها قوات الحكومة عام 1987م وفي وقت سابق من هذا العام، احتجزوا، وأن الكثيرين منهم أعدموا في وقت لاحق. وفي شهر آذار مارس من هذا العام أن عدة مئات من الأشخاص، ربما يبلغ عددهم أربعمئة شخص، اعتقلوا وهم في طريقهم إلى مدينة السليمانية سعياً وراء العلاج الطبي للجروح التي أنزلتها بهم القوات العراقية باستعمالها الأسلحة الكيميائية في منطقة قرداغ بمحافظة السليمانية، وأنهم أخذوا إلى معسكر تانجرو على مسافة 4 كيلومترات خارج المدينة، وأعدموا رمياً بالرصاص في 2 نيسان إبريل.

وفي حادث آخر وقع في منتصف نيسان إبريل 1987 م، في أعقاب هجوم كيميائي على وادي باليسان في محافظة أربيل، نقل إلى مستشفيات أربيل للعلاج نحو 360 شخصياً من قرية شيخ وسانان، أصيبوا بجروح نتيجة للهجوم، ووفقاً لتقارير وردت إلى منظمة العفو الدولية، من بينها رواية شاهد عيان، حرم الضحايا من العلاج الطبي ونقلوا بواسطة قوات الأمن إلى مراكز اعتقال في أربيل. وذكر أنهم اختفوا بعد ذلك بأيام، عقب نقلهم إلى جهة مجهولة خارج المدينة، ولا يزال مصيرهم ومكان وجودهم مجهولين، وأنهم ربما أعدموا. وقد استلمت منظمة العفو الدولية أسماء 48 من الضحايا.

وعلى مر السنين دعمت منظمة العفو الدولية بالوثائق كثيراً من حوادث القتل المتعمدة هذه لا يمكن أن تعزى للقتال. وفي تشرين الأول أكتوبر 1985م ورد أن ما يزيد على 300 كردي قُتلوا في مدينتي السليمانية وأربيل، وجرى صفهم وقتلهم رمياً بالرصاص. وأن آخرين دُفِنوا أحياء أو فارقوا الحياة عندما أطلقت القوات النار مباشرة على جماهير المتظاهرين. وفي وقت أقرب عهداً، قيل إن ما يقدر بمائة إلى مائة وخمسين كردياً، بينهم نساء وأطفال، أعدموا بصورة فورية عقب عمليات تفتيش أجريت من بيت إلى بيت في قرية جيمن بمحافظة كركوك في تشرين الثاني



نوفمبر 1987م وجيمن هي قرية من بين مئات القرى الكردية أعلنت السلطات منذ آذار مارس 1987م أنها محرمة لأسباب أمنية، والتي أُعيد توطين سكانها قسراً. وقد قُصفت القرية بعد أن عاد سكانها إلى ديارهم، وكانوا قد طُردوا منها قبل ذلك.

وتعتقد منظمة العفو الدولية أن قوات الحكومة التي وزعت في شمال العراق تمتعت طوال سنوات عديدة بسلطات واسعة لاتخاذ إجراءات عقابية، تشمل الإعدام الفوري، ضد المدنيين الأكراد. ففي نيسان إبريل 1986م، على سبيل المثال، اعتقل 15 طالباً وأعدموا رمياً بالرصاص علانية في أربيل. وفي أيار مايو 1987م اعتقل ثمانية مدنيين بصورة مشابهة وأعدموا علانية في السليمانية. وأُعتقل مدنيون يشتهب في تأييدهم للمعارضة أو تعاطفهم معها، وأُعدموا في عدد من الحالات بدون محاكمة. وكان أقرباء المناهضين أيضاً هدفاً لمثل هذه الانتهاكات. وقد أُعدم المحتجزون بشكل جماعي في السجون بدون إجراءات قانونية مسبقة، أو بعد صدور أحكام بالسجن عليهم. ولدى منظمة العفو الدولية أسماء 46 كردياً، بينهم ثمانية أطفال، كانوا بين حوالي 150 سجيناً ذُكر أنهم أُعدموا في سجن

أبو غريب في بغداد خلال اليومين الأخيرين من كانون الأول ديسمبر 1987م، وقد مات أكرادٌ معارضون وهم قيد الاحتجاز نتيجة للتعذيب بينما قيل إن آخرين سُُمِّموا بواسطة عملاء للحكومة، ولا يزال مصير عدة آلاف من الأكراد مجهولاً، وكان قد ورد أنهم اختفوا عقب اعتقالهم عام 1983 م. وترفع منظمة العفو الدولية بانتظام تفاصيل هذه الانتهاكات إلى الأجهزة الموضوعة للجنة.

هذا وقد كتبت منظمة العفو الدولية في آخر تقرير لها عن عام 1989 عن انجازات العدل والحرية في حزب البعث العراقي في ص 258، 259، 260:

في تموز يوليو انتهت الحرب التي كانت ناشبة بين إيران العراق. وخلال الأشهر التي لحقت وقف إطلاق النار، حدثت هجمات مماثلة على مدنيين أكراد، هرب آلاف منهم إلى بلدان مجاورة للعراق.

وورد أن ما يربو على 6000 شخص، أغلبيتهم من المدنيين العزل، قُتلوا عمداً على أيدي قوات الحكومة، كما وردت معلومات عن قتل مئات آخرين عمداً خلال عام 1987م، وكان كثيرون من هؤلاء ضحايا إعدامات خارجة عن نطاق القضاء، وأغلبيتهم الساحقة من المدنيين الأكراد، بينهم عائلات كاملة، قُتلوا نتيجة عمليات عسكرية شنت على نطاق واسع ضد أهداف مدنية، وكانت أعمال القتل هذه في نظر منظمة العفو الدولية، جزءاً من سياسة منهجية ومقصودة انتهجتها الحكومة العراقية للتخلص من أعداد كبيرة من المدنيين الأكراد، عقاباً لهم على ما تُنسب إليهم من تعاطفات سياسية.

وورد أن حوالي 400 مدني كردي، بينهم نساء وأطفال، أُعدموا في 2 نيسان إبريل في معسكر تانجروا العسكري بمحافظة السليمانية وقيل إن الضحايا أُصيبوا بجروح نتيجة هجمات بالأسلحة الكيماوية شنت على قرويين في منطقة قرداغ في آزار مارس، وقبض عليهم عندما كانوا في طريقهم إلى مدينة السليمانية سعياً وراء العلاج الطبي. ووردت أيضاً معلومات تفيد بأن حوالي 360 شخصاً من قرية شيخ وسانان بمحافظة أربيل، كانوا قد اعتقلوا في نيسان إبريل 1987م.

وقُتل عمداً ما يقدر عددهم بحوالي 5000 شخص في 16 و 17 آذار مارس، وأصيب آلاف غيرهم بجروح ناجمة عن هجمات بالأسلحة الكيماوية شنتها القوات العراقية على بلدة حلبجة بمحافظة السليمانية بعد دخول قوات المعارضة الكردية إلى البلدة، كما ورد وكان معظم الضحايا من المدنيين، وكثيرون منهم من النساء والأطفال.

وفي آب أغسطس قتل عمداً مئات المدنيين الأكراد العزل، وجرح آلاف غيرهم، عندما قامت قوات الحكومة العراقية بمهاجمة قرى كردية في شمال البلاد، وورد أن آلاف الجنود العراقيين شنوا هجمات مستخدمين الدبابات، ومدافع الطائرات العمودية، والمدفعية، والأسلحة الكيماوية، على مئات القرى في محافظات دهوك والموصل وأربيل، وجاء هذا الهجوم في أعقاب قبول الحكومة الإيرانية بوقف إطلاق النار في حربها مع العراق. وورد أن قوات الحكومة العراقية اقتحمت في 28 آب أغسطس عدة قرى قرب مدينة دهوك، وقبضت على أكثر من 1000 شخص، كان بعضهم يعانون من جروح أصيبوا بها خلال الهجمات بالأسلحة الكيماوية، أعتقلوا وأعدموا على الفور، ثم دُفِنوا في قبور جماعية مجاورة.

وأعلنت الحكومة التركية في أول أيلول سبتمبر أنها ستمنح ملجأ مؤقتاً لحوالي 57000 مدني كردي. وفي كانون أول ديسمبر ورد أن حوالي 80 شخصاً أعدموا في منطقة أكويسنچق بمحافظة أربيل، قيل إن أغليبيتهم كانوا فارين من الجيش قبض عليهم في منتصف عام 1988م، ولم يُعرف ما إذا كانوا قد قُدموا للمحاكمة قبل إعدامهم.

كما قبض على أقارب مشبوهين تلاحقهم السلطات، وأُخذوا كرهائن عوضاً عنهم، على غرار ما حدث لأطفال معارضين سياسيين قبض عليهم تعسفاً وأُعتقلوا كرهائن لإرغام والديهم أو أقاربهم على الاعتراف بجرائم سياسية مزعومة.

وظلت التقارير ترد على نطاق واسع عن تعذيب السجناء وإساءة معاملتهم بصورة روتينية، وكان بينهم معتقلون دون الثامنة عشرة من العمر قتل إنهم تعرضوا للضرب، والجلد بالسياط، والاعتداء الجنسي، والتعذيب بالصدمات الكهربائية، والحرمان من الطعام. وجاء في شهادة سجين سابق أطلق سراحه من سجن أبو غريب عام 1988م، أن السجناء كن يُعلقن رأساً

على عقب من أقدامهن أثناء فترة الحيز. كما كان يجري إدخال أشياء في مهبل الفتيات، مما يؤدي إلى فض بكارتهن.

وكان مصير حوالي 178 شخصاً اختفوا وهم قيد الاعتقال ما بين عامي 1980 و 1985م، لا يزال مجهولاً في نهاية العام. وبينهم 17 ولداً تتراوح أعمارهم ما بين الثانية عشرة والسابعة عشرة. وظل مجهولاً أيضاً مصير حوالي 8000 كردي بينهم 315 طفلاً، اختفوا عقب القبض عليهم في آب أغسطس 1983 م. وكان جميع هؤلاء ذكور ينتمون إلى عشيرة البارزاني، فُبض عليهم في أربيل وأُرسِلوا إلى جهات مجهولة.

وحثت المنظمة الحكومة في كانون الثاني يناير على التحقيق في أنباء استخدام قوات الأمن لمادة الثاليوم لتسميم المعارضين السياسيين، ولم يصدر أي رد عن الحكومة بصدد حوادث التسميم.

لفتت المنظمة الانتباه إلى تقارير الإعدام والقتل المتعمد لحوالي 360 شخصاً في تشرين الثاني نوفمبر وكانون الأول ديسمبر 1987م على أيدي القوات العراقية.

وقد أصدرت منظمة العفو الدولية في هذا العام كتاباً بعنوان «عقوبة الإعدام ضد حقوق الإنسان»، وخصصت الصفحات من 167 – 169 عن العراق، وفيها ذكرت الإعدامات التي تمت من سنة 1985 – 1988 م وذكرت أصناف الناس الذين طالتهم هذه العقوبة من أطفال ونساء وشيوخ ومدنيين وعسكريين وذكرت أنواع المحاكم المخولة بإصدار أحكام الإعدام ثم ذكرت كيفيات الإعدام.

ومن أغرب أنواع العدل البعشي في الإعدام: هي استدعاء الضحية ثم مص دمه بواسطة أجهزة طبية وتحت إشراف طبي حتى يموت ثم تخزين هذا الدم لإرساله إلى المستشفيات الميدانية لإسعاف الجنود المصابين.

ومن ذلك أيضاً أنه عند تسليم الجثث إلى أهلها يطلب من العائلات دفع أجور الإعدام التي تتراوح عادة ما بين 50 و 300 دينار عراقي أي حوالي من 16 - 96 دولاراً لكل جثة من أجل تغطية نفقات الدولة على بنود: كالرصاص وأدوات القتل الأخرى والتواييت والنقل ثم تمنع العائلات من الدفن العلني للضحية.

هذا غيظ من فيض عدالة وحرية و ديمقراطية وقومية حزب البعث ولو ذكرت كل ما لدي حول هذه المسألة لأخذ حيزاً كبيراً.

وانتقل إلى جانب آخر من تاريخ حزب البعث وهو:

انتشار هذا الحزب ووسائل ذلك:

إن من المبادئ الأساسية والعقائد الرئيسية لحزب البعث "الوحدة العربية" كما سيأتي ولذلك فهم يسعون لتحقيقها في البلدان العربية بأقصى جهودهم بالثورة، بالانقلاب، بالتدخل العسكري بالتحالفات هذا بالأساليب العسكرية والسياسية.

ولكن هناك أساليب أخرى خفية أكثر خطراً وتتلخص فيما يلي:

1 - الاتصال بالأفراد وإقناعهم بالفكرة وتجنيدهم لها.

2 - التأثير على الشخصيات ذات النفوذ والوجاهة في البلدان وخاصة السياسيين والعسكريين واستقطابهم إما كأمنصار وإما كأعضاء في الحزب.

3 - استقطاب المثقفين والفنانين من خلال المهرجانات الثقافية والفنية كالمربد ونحوه.

4 - شراء ذمم الصحفيين ورؤساء التحرير بالأموال والهدايا وغيرها.

5 - بث الأفكار القومية ونشرها من خلال الصحف والمجلات البعثية أو الموالية لها ومن خلال الكتب والمؤلفات.

6 - إشاعة المبادئ والأفكار البعثية حتى تصبح واقعاً لا فكاك منه، كالكلام الدائم عن الوحدة العربية مما يضطر الساسة أن ينادوا بالنداء نفسه حتى لا يوصفوا بأنهم ضد الوحدة، ومثل ذلك الحديث المباشر وغير المباشر عن فصل الدين عن الحياة أو بعض جوانبها.

7 - استخدام الأدب الحديث وما يسمى بالإبداع لترويج المبادئ والأفكار البعثية.

ولكل أسلوب من هذه الأساليب شواهد وأدلة من كتب البعثيين أنفسهم،

أو مما كتب عنهم، فانظر كتاب موسوعة العراق الحديث 406/2، 410، 439، 440. ومجموعة مؤلفات منيف الرزاز 163/2، 201،

240 - 432، 411/2، 267، 260/3، 262، 264 و 195/3 - 207.

وفي سبيل البعث 52، 63، 238، 263.

وزهير المارديني 88، 92، 85 – 112. وأمير اسكندر 348.

أما الانتشار الفعلي لحزب البعث فإنهم يفتخرون بأن لهم وجوداً في كل البلدان العربية، وقد دون ذلك أحد قدماء البعث وهو شبلي العيسمي في كتابه [حزب البعث العربي الاشتراكي/مرحلة النمو والتوسع 1949 – 1958 م].

وخصص فصلاً لذلك بعد أن تحدث عن وجودهم في سوريا ولبنان والعراق سماه [انتشار الحزب في الأقطار العربية الأخرى وفي الخارج] ص 242. ثم ذكر مصر ونشاطهم فيها بين المصريين وبين الطلبة العرب الذين وفدوا للدراسة فيها وقال عن مصدر معلومات هذه الفقرة ص [242] اعتمدنا هذه الفقرة على لقاء مع الدكتور علي المختار في 1976/11/24م وكان من أقدم البعثيين المصريين وكذلك على لقاء مع بعض الرفاق الذين درسوا في مصر في مرحلة الخمسينيات كالرفيق علي غنام، والدكتور عبد الرحمن منيف].

وأسلوب الانتشار في الوسط الطلابي من أوسع أساليب البعثيين في مراحلهم الأولى وخصوصاً في لبنان في الجامعة الأمريكية ص 228 انظر العيسمي ومصر كما نقدم قبل قليل.

وعندما سأل أمين اسكندر صدام حسين عن حياته في القاهرة وماذا كان يعمل فيها أجاب في ص 343 قال: في الواقع أنها غير معروفة لكونها حياة اعتيادية، وليست حياة أضواء. وإن ما هو خارج عن الاعتيادي فيها هو العمل السري، حياة إنسان، طالب بعثي، يسكن بيتاً بسيطاً، يراجع دروسه ثم يقرأ كتباً خارجية، وليست له انشغالات أخرى كـ بعض الناس، كأن يختلط بحياة أضواء القاهرة، فقد كانت حياتي اعتيادية تماماً، وقد مارست العمل السري التنظيمي في نطاق سري وكنا في ذلك الوقت مسئولين عن قيادة تنظيمنا في غزة، وتنظيم الحزب في شمال أفريقيا

العربي، وتنظيم الحزب في الجزيرة والخليج، وفرع الحزب في مصر ومسؤولياتي كانت كبيرة من ناحية العمل السري، لأن وضع القيادة القومية كان صعباً، وكانت لا تستطيع أن تمارس عملها داخل الأراضي السورية، وكان أغلب أعضائها موجودين في لبنان، وكانت هناك صعوبات بالغة، بسبب حساسية النظام في ذلك الوقت من الحزب، فأعطيت إلينا هذه المسؤولية كلها، وكنا أعضاء قيادة بمستوى فرع.

ثم يستطرد العيسمي في ذكر انتشار حزب البعث في الأقطار العربية ويأتي على ذكر اليمن وذكر نشاطهم في الخمسينيات وكيف أن الحزب شارك في المؤتمر العمالي وساهم في تأسيسه سنة 1956 م في الجنوب بأشخاص محمد سعيد مسواط، وعلي حسن القاضي، ومحسن العيني، وأحمد حيدر، وقاسم سلام، انظر كتاب العيسمي ص 245 أما الشمال فإن البعث بدأ ينتشر فيه في عام 1958 م وذلك عن طريق الطلبة الذين كانوا يدرسون في الخارج وبخاصة في القاهرة ودمشق وبغداد كما أن بعض العمال اليمنيين الذين كانوا يشتغلون في إنجلترا قد انضموا إلى الحزب عن طريق المنظمة الحزبية في عام 1957 م وأصبح لهم نوع من الاتصال بالمؤتمر العمالي في عدن، وأسند العيسمي هذه المعلومات إلى عزيز المشهداني/انظر ص 246.

وقد بقي لحزب البعث تأثيراته الظاهرة على اليمن منذ قيام الثورة إلى قيام الوحدة، ولا يخفي البعثيون في اليمن انتماءهم أياً كان منصب الواحد منهم.

وقد شارك حزب البعث في الجبهة القومية الديمقراطية في اليمن الشمالي والتي نشطت عام 1978م على إثر مقتل الحمدي وهروب الرائد عبد الله عبد العالم وكانا يخططان لجعل اليمن ضمن المنظومة القومية العلمانية.



وكانت الجبهة التي بدأت تقاتل الناس في اليمن الشمالي وترهبهم وتستولي على أملاكهم وتزعزع أمنهم قد ائتلفت من الشيوعيين والناصرين والبعثيين فكان من أبرز رجالها عبد الله عبد العالم، والرائد ماجد الكوهالي الذي قاد محاولة انقلابية ضد علي عبد الله صالح في أكتوبر 1978م وهو من الضباط الناصريين.

وسلطان أحمد عمر الأمين العام للجبهة وهو ماركسي وآخران بعثيان هما يحيى الشامي، وسلطان القرشي.

وقد قامت هذه الجبهة بأعمال إجرامية ضد الناس في اليمن ولم تتردد في ارتكاب أعمال القتل والخطف لإرغام المواطنين على التعاون معها وكانت هذه الجبهة مدعومة من النظام الماركسي في عدن.

وقد خفت شوكة هذه الجبهة بجهد الشباب الإسلامي في اليمن بين عامي 79 - 80، انظر كتاب السياسة بين السائل والجيب 241/1.

ثم يستطرد العيسمي في ذكر انتشار الحزب في الأقطار العربية فيأتي على ذكر الجزيرة والخليج فيقول في ص 247 وص 248:

(في منتصف الخمسينيات قام بعض البعثيين من السوريين والفلسطينيين العاملين في شركة أرامكو بالاتصال مع عدد من الطلبة في المدرسة الصناعية بالمنطقة الشرقية من السعودية، فارتبط بعضهم بالحزب، وبما أن الحكام السعوديين كانوا في تلك الفترة مع سياسة الحياد وعدم الانحياز، ويظهرون التقارب والتنسيق مع سورية ومصر، فقد كانت أحداث تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي، مناسبة لتحريك الفئات الوطنية والقومية من أجل التعبير عن دعمها لحركة التحرر العربي، يجمع التبرعات للجيش العربي الموحد بين سورية ومصر والأردن، كما أرسلت برقية ضد

تجديد اتفاقية الظهران مع أمريكا موقعة من حوالي ثلاثة آلاف شخص، فما كان من السلطة إلا اعتقال حوالي ستين منهم، اعتبروا محرضين وباتجاه البعث، مع أن عدد الذين كانوا متأثرين بمبادئ الحزب ويتطلعون إلى الانتساب إليه لا يزيدون عن العشرة، وكان الرفيق علي غنام أحد المعتقلين في حزيران 1956م وأقسم في السجن مع هؤلاء يمين الإخلاص للوحدة والحرية والاشتراكية، من دون أن يعرفوا نص قسم الحزب، وتم الاتفاق بينهم على العمل باسم "أحرار الجزيرة العربية". وعند خروجهم في العام التالي حققوا الارتباط بالحزب وتبين لهم وجود بضعة أعضاء في الرياض والمنطقة الشرقية، واستمر الحزب في التوسع والنمو حتى بلغ في الستينيات مستوى شعبة تضم ما يقرب من ستين عضواً، وكان عدد غير قليل قد ارتبط بالحزب من خلال دراسته في القاهرة وبغداد وغيرهما، على أن تزايد الإرهاب والاضطهاد من أجهزة السلطة وحدوث الانتكاسات والانشقاقات في داخل الحزب كلها لها تأثير كبير في تقليص نشاطهم بل وتجميده فترة طويلة.

وربما كان أقدم البعثيين السعوديين صالح الرشيد الذي انتمى للحزب يوم كان طالباً عام 1953 م، وهنالك أيضاً عبد الرحمن المنيف الذي أصبح عضواً في القيادة القومية في عام 1960 م.

بالنسبة لمنطقة الخليج العربي، فقد انتشر الحزب عن طريق العرب الوافدين إليه كموظفين أو عمال. ولاسيما من أبناء فلسطين وسورية والأردن، ولهذا ظل هؤلاء يشكلون الأكثرية في المنظمات الحزبية التي نشأت في الكويت والبحرين وقطر في النصف الثاني من الخمسينيات.

وبلغ مستوى التنظيم في الكويت في نهاية المرحلة مستوى الفرع في عام 1959م.

وكانت هذه المنظمات تقدم دعماً مادياً كبيراً للقيادة القومية.. وبصورة عامة كان البعثيون في منطقة الخليج في مقدمة الفئات الوطنية اهتماماً بالقضايا القومية، واستجابة للأحداث المهمة التي جرت في الوطن العربي.

وكما تلاحظ فإن علي غنام وعبد الرحمن المنيف يحتلان قمة التنظيم البعثي فمن هما؟

أما علي غنام فقد ترجمت له موسوعة السياسة في ج 4 ص 189 فقالت:

مناضل عربي ولد في الجبيل في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية عمل في شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) 1950 – 1956 م. اعتقل في عام 1956 م لمدة تزيد على السنة، لنشاطه في صفوف الحركة العمالية والوطنية، انتسب بعدها لحزب البعث العربي الاشتراكي. ثم انتسب بعد الإفراج عنه إلى مدارس لبنان ومصر والعراق حيث مارس نشاطاً سياسياً تعرض بسببه للضبط والتحقيق. شارك في المؤتمرات القومية منذ المؤتمر السادس. انتخب عضواً في القيادة القومية للحزب في المؤتمر القومي السابع. اعتقل على أثر انقلاب 23 شباط فبراير سنة 1966م لمدة عام ونصف وأطلق سراحه مع رفاقه في 9 حزيران يونيو سنة 1967 م إبان هزيمة حزيران وأبعد إلى الجزائر لمدة سنة.

عاد بعد قيام ثورة 17 تموز – يوليو سنة 1968م إلى العراق، جدد انتخابه عضواً في القيادة القومية في المؤتمر القومي العاشر للحزب عام 1970م وفي المؤتمر القومي الحادي عشر (1977م). شارك في العديد من المؤتمرات العربية لمساندة المقاومة الفلسطينية.

وأما عبد الرحمن المنيف فهو الحداثي الكبير وقدوة الحداثيين لدينا وصاحب أكبر رواية عربية "مدن الملح" التي تتحدث عن السعودية منذ أن نشأت إلى الآن، وقد تحدث فيها عن الشخصيات السياسية وعن العلماء بأسلوب مليء بالسخرية والاستهجان، حيث جعل لكل

شخص ولكل مدينة وإقليم اسماً رمزياً وحاك حولها ما حاك، وبني هذه الرواية كما يدل عنوانها على أن هذا الكيان ومؤسساته ومدنه ومنشأته وكل ما فيه عبارة عن أكوام من الملح عندما تأتي الاشتراكية البعثية فإنها ستذيب كل ذلك وتذهب به، وليس من قبيل المصادفة أو مجرد الذوق الأدبي أن تجد الحداثيين لدينا يشيدون بالمنيف وبروايته مدن الملح.

وقد أجرى معه مؤلفا كتاب "رأيهم في الإسلام" مقابلة مطولة من ص 13 - 32 نقبس منها ما يفيد في كشف شخصيته:

قالا عنه بأنه اختار المنفى منذ عام 1981م معرضاً عن عيش رغيد مرفه، ومنصب أخصائي في الاقتصاد والشؤون النفطية في العراق الذي استقبله عند مجيئه من عمان حيث ولد في عائلة سعودية من نجد. فلسفته السياسية الماركسية التي اعتنقها أيام دراسة الاقتصاد في إحدى العواصم شرق الأدرياتيك تدرج بالطبع في مجمل رؤياه وتوقعاته حيال مستقبل العالم العربي، يشاطره عدد من المثقفين رؤيته المتشائمة تشاؤماً إيجابياً بناء تجاه المستقبل.

وعندما سئل عن رأيه في الإسلام أجاب:

[برأيي ظاهرة التشدد في الدين ردة فعل مؤقتة على صيغ ومؤسسات رامت التغيير ولم تفلح - إلى أن قال - أما الحركات الأصولية فلا أراها تأتي بصحيح الحلول للمعضلات الحالية في الدول العربية إنما تبدي نزعات طاغية إلى الماضي ولا تأتلف والحاضر، هذا ويتضح إخفاقها في إيجاد الحلول عند التطبيق السياسي العملي كما في العربية السعودية وإيران والباكستان هذا إذا سلمنا أن هذه الدول تطبق بحق الشرع الإسلامي والأمر قابل للجدل.

ثم يضيف: ولست أرى في الزكاة مثلاً سبيلاً لحل مشكلة الفقر كما لا أعتقد أن ما راج في فجر الإسلام قابل للتطبيق حالياً، فالمجتمعات وقتذاك كانت صغيرة الحجم قليلة المتطلبات – إلى أن قال – فتحديات العصر أكبر من أن يلجمها مجرد انتضاء لسيف الدين.

- ثم يقول - كانت المنظمات الدينية تتراجع أو تراوح مكانها لم تعد إلى الصدارة إلا بعد أن استمدت قوتها من عجز التيار القومي على سد حاجات المجتمع العربي وفك عقده.

وعندما سئل: هل يحافظ الإسلام حتى يومنا هذا على دعوته الشاملة؟

أجاب: لا يسعنا تصور مجتمع قائم على أسس دينية في زمننا الحاضر، فالدين بات مسألة شخصية لا يتعدى هذه التخوم، لذا يستحيل قيام مجتمع على دعائم دينية كما يستحيل إضفاء صفة الشمولية الكونية على أحد الأديان.

وعندما سئل: هل يمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام كنظام حكم؟

أجاب: يحترم كل من الدولة الحديثة والمجتمع العصري حرية التوجه والاعتقاد حسب يقين كل إنسان، وتتكيف هذه التوجهات مع متطلبات الساعة فتبقى عرضة للتغيير، وهذا المبدأ يتنافى والرؤية الدينية التي تقتضي الثبات وتأبى التغيير.

وعندما سئل: هل النظام الإسلامي للحكم مرحلة حتمية على الشعوب العربية أن تمر بها في معرض تطورها؟

أجاب: لا أظن ذلك، بل العكس، نرى الشعوب الإسلامية تزداد قدرة على التطور ومواجهة تحديات الأزمان المتعاقبة بقدر ما تدنو من الدولة العلمانية.

وعندما سئل: من هو العدو الأول للإسلام حالياً؟

أجاب: فلنترك الجواب لمناصري الحركات الأصولية فهم أبرع مني في وضع سلم الأولويات في هذا المجال وتصنيف الأعداء، أما بالنسبة إلي شخصياً فإنني أرى الأعداء بمنظار علماني وهم: التسلط الاستعماري والصهيونية والتخلف والرجعية الحاكمة حالياً والأنظمة الاستبدادية.

### ثالثاً: عقائد البعث:

تتلخص عقائد البعث في أنه حزب قومي علماني شعاره العقدي والعملي: وحدة وحرية واشتراكية.

وقد وضع مشيل عفلق هذه المبادئ وأضفى عليها مسحة وجدانية من خلال شعار حزب البعث "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة".

ومن أجل التغلغل في أوساط المسلمين لم يعلن حربه على الإسلام كما فعل شريكه في اليسار والعلمانية "الحزب الشيوعي" بل أثنى على الإسلام وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ليصل من خلال هذا إلى غرس العلمنة كما سيأتي إثبات ذلك.

وقد لخص منيف الرزاز الأمين العام السابق لحزب البعث مبادئ وعقائد البعث في كتابه ألف باء البعث المجموع ضمن أعماله الفكرية والسياسية في الجزء الثالث من ص 149 إلى ص 162.

وقد تكلم في هذا الكتاب عن حزب البعث ضمن العناوين التالية:

1 - البعث حركة عقائدية.

2 - البعث حركة نضالية.

- 3 - البعث حركة ثورية.
- 4 - البعث حركة جماهيرية.
- 5 - البعث حركة قومية.
- 6 - البعث حركة اشتراكية.
- 7 - البعث حركة إنسانية.
- 8 - البعث ثورة شاملة.

وسوف نأخذ منه مقتطفات ومقاطع مهمة توضح لنا عقيدة البعث: يقول:

### 1 - البعث حركة عقائدية:

البعث حركة عقائدية.. حركة ذات عقيدة.

العقيدة هي حصيلة الدراسة العلمية للتاريخ.. للقوى الفاعلة فيه.

لتصارع هذه القوى.. للقوانين المسيرة لها، وبالتالي هي الخلاصة المستنتجة من تجربة العالم التاريخية.. خلاصة معنى التاريخ.

من هنا، فإن صاحب العقيدة مضطر إلى أن يطور عقيدته أي قوانينه مع تطور التاريخ.

فالبعث عقائدي، ولكنه ليس مذهباً جامداً (دوغمائياً).

البعث ينطلق من أن العالم بشكل عام، والتاريخ بشكل خاص حركة دائبة، الحركة هي نتيجة تصارع قوى، وليست مجرد تصاعد مستمر.

## 2 - البعث حركة نضالية:

لو كان البعث عقيدة فحسب، لكان مدرسة فكرية فحسب.. ولكنه إلى جانب ذلك نضال.

من حيث هو عقيدة، فهو علم ووعي.. من حيث هو نضال، فهو حركة وقوة فاعلة.

نضاله نابع من وعيه للتاريخ، ومن كونه قوة فاعلة فيه، لا متفرجاً على أحداثه، نضاله عقائدي بمعنى أن نضاله ليس أعمى، إنه يسترشد بتجارب الإنسان الماضية، فيدرك غايات نضاله، ويدرك وسائل نضاله، ويستعملها.

وكما أن العقيدة تنير سبيل النضال، فممارسة النضال تعمق معنى العقيدة وتوضحها، وتطورها.

غايته من النضال أن يكون القوة الدافعة لتحقيق حتميات التاريخ المقبلة.

حتميات التاريخ محصلة قوى دافعة إلى الأمام ضد قوى تشد إلى الوراء.

واجب البعث خلق القوى الدافعة، اختصار التاريخ، تحقيقه.

ومن أجل أن يكون البعث قوة، لا بد أن يكون أولاً تنظيماً.. أي أن يكون حزباً.

واجب الحزب الأول تنظيم الشعب وتعبئته حول العقيدة التاريخية السلمية، واستنفار قواه وتحريكها ثورياً من أجل المشاركة الفعالة في الثورة.. ميدان عمله، جماهير الشعب.

مقياس نجاحه في رسالته مقدار التفاف جماهير الشعب حوله، مؤمنة بما يؤمن مناضله معه في ميادين النضال.

إذا كان هذا هو المقياس فإن حزب البعث أفضل حزب لأنه يجمع الناس حوله طوال السنوات التي حكمها ويحكمها بالقتل والمصادرة والسجن.



### 3 - البعث حركة ثورية:

البعث من حيث هو رفض للأوضاع التي ولدته، ومن حيث هو انفتاح لخلق أوضاع جديدة تقدمية، هو ثورة، وليس حركة إصلاحية.

الثورة رفض لوضع، وانفتاح على نقيضه.

والثورة تستهدف بناء مجتمع عربي موحد، تسوده علاقات اجتماعية تقدمية، ويختفي فيه الاستغلال الطبقي، وتتفتح فيه طاقات الجماهير.

من خلال الثورة على المجتمع القائم، من خلال ثورة الجماهير لرفض واقع فاسد، لا يتغير هدف الثورة فحسب بل تتغير الجماهير نفسها.

تنقلب على ذاتها، تتخلص من رواسب المجتمع الثائرة عليه، والتي هي منه، وتصبح قادرة على بناء مجتمع جديد.

من خلال ثورتها على وضع تاريخها، تحقق ثورة في ذاتها.

فتحقق ذاتاً جديدة، مبدعة خلاقية، منصهرة في حركة التاريخ.

### 4 - البعث حركة جماهيرية:

لا تكون الثورة ثورةً إلا بجماهيرها حين تكون الجماهير المسحوقة أداؤها فقط وغاياتها معاً.

كل ثورة لا تكون الجماهير أداؤها ثورة ناقصة.. ثورة فوقية.

كل ثورة لا تكون الجماهير غايتها ثورة محرفة.. ثورة كاذبة.

أقول: وهل كانت الجماهير في سوريا والعراق مع حزب البعث أم أن حكم العسكر هو الذي فرض ذلك.

## 5 - البعث حركة قومية:

في النضال ضد الاستعمار، الواضح الهوية، يجب أن تتضح هوية المناضل ويطرح الشعب المناضل السؤال على نفسه: من نحن؟.. ما هويتنا؟

ولقد أجابت ظروف الصراع التاريخي نفسها عن هذا السؤال: نحن عرب.

قال البعث: أمة عربية واحدة... آمن بوحدة الأمة.

وحدة اللغة والتاريخ والأرض كانت الأساس الذي بنيت عليه وحدة الأمة العربية.

## 6 - البعث حركة اشتراكية:

الاشتراكية مصير حتمي.

لأن الروح الثورية التي يخلقها النضال القومي في الجماهير تؤدي بالجماهير الكادحة وقد تحررت من رواسبها، إلى رفض الاستغلال بكل صوره، والاشتراكية وحدها هي النظام المناقض للاستغلال.

الاشتراكية ليست مجرد نظام اقتصادي يتحقق في مستقبل الأيام، إنها قبل ذلك وعي على القوى الفاعلة في المجتمع، ووعي على مكان هذه القوى من المعركة القومية.

الإيمان بالاشتراكية إذن ليس إيماناً بالمستقبل، بل هو إيمان اليوم بإيمان في قلب المعركة.

## 7 - البعث حركة إنسانية:

البعث حركة عربية، لا عالمية.. قومية لا أممية، ولكنه حركة تقدمية، ترفض الاستعمار والتخلف فكرياً ونضالياً.

لذلك فالبعث يعني معنى التحالف الطبيعي بينه وبين جميع قوى الثورة والتقدم والاشتراكية في كل أنحاء العالم.

## 8 - البعث ثورة شاملة:

الهدف الأساسي للبعث هو تحريك قوى التاريخ التقدمية في الوطن العربي تحريكاً ثورياً يحقق من خلال النضال ضد الاستعمار والتجزئة والتخلف، خلق أمة عربية واحدة تضمها دولة عربية واحدة، في مجتمع اشتراكي متقدم، تستعمل فيه الجماهير كل طاقاتها، وتتمتع بحرياتها.

ومن هنا كان شعار البعث، وحدة، حرية، اشتراكية.

ومن هنا كان إيمانه بترابط هذه هذا الهدف ترابطاً موضوعياً.

فلا تقوم وحدة مع بقاء الاستعباد والاستغلال.

المجتمع العربي، الموحد، الحر، الاشتراكي.. ذلك هو هدف البعث. /انتهى كلام الرزاز.

هذا وإذا التفتنا إلى أقوال مؤسس حزب البعث التي تعد عند أتباعه قطعية ومسلمة، فإننا نجد فيها ما يفصل لنا عقيدة البعث حول الاشتراكية والوحدة والحرية والانقلاب والدين والعلمانية: يقول عفلق عن الاشتراكية:

[لو سئلت عن أسباب ميلي للاشتراكية لأجبت: إن ما أطمع به منها ليس زيادة في ثروة المعامل بل في ثروة الحياة.

إن الذي يظن الاشتراكية ديناً للشفقة مخطئٌ أيما خطأ وما نحن رهبان نلوذ بالرحمة.

إذا سئلت عن تعريف للاشتراكية فلن أنشده في كتب ماركس ولينين وإنما أجيب: [ إنها دين الحياة، وظفر الحياة على الموت ] في سبيل لبث 17 – 19.

ويجعل الاشتراكية حلاً لكل المشكلات العربية فيقول ص 37:

[ ومنذ سنين شعرنا بهذه الحاجة الملحة إلى إيجاد الحل الإيجابي إلى الاشتراكية العربية التي تداوي أمراض المجتمع العربي ].

ويقول في ص 43:

[ .. إن التفكير في البعث العربي يقوم على ثلاث دعائم أيضاً هي الحرية الاشتراكية الوحدة العربية، والتنظيم يقوم على أساس الجيل الجديد الذي يمثل الوعي وقوة النفس والإرادة والعقيدة.. فالاشتراكية وحدها لو وجد أشخاص يؤمنون بها تشكل أكبر خطر على الأوضاع الرجعية فكيف إذا دعمناها بجناحين لا يقلان عنها قيمة هما الحرية والوحدة العربية ].

ويقول في ص 285: [ ... فالقومي العربي يدرك أن الاشتراكية هي أنجع وسيلة لنهوض قوميته وأمته ].

ويقول في ص 292: [ فتحقيق الاشتراكية في حياتنا شرط أساسي لبقاء أمتنا وإمكان تقدمها ].

وقد طبق حزب البعث هذه المعاني، فجاء في دستوره في العراق في المادة الرابعة من المبادئ العامة:

[ حزب البعث العربي الاشتراكي: اشتراكي يؤمن بأن الاشتراكية ضرورة منبعثة من صميم القومية العربية لأنها النظام الأمثل الذي يسمح للشعب العربي بتحقيق إمكانياته وتفتح عبقريته على أكمل وجه.. [موسوعة العراق الحديث 411/2.

وجاء في الدستور البعثي في المادة 26 [ حزب البعث العربي الاشتراكي اشتراكي يؤمن بأن الثروة الاقتصادية في الوطن ملك للأمة ]. المصدر السابق.

وبناء على هذه العقيدة الاشتراكية فرض حزب البعث إلغاء الملكية الخاصة ومسح حقيقة الإرث الذي شرعه الله سبحانه وتعالى.

قالت موسوعة العراق الحديث 415/2:

[... أما الإرث فإن اشتراكية البعث تعترف به لكونه يرمز للصلة الروحية بين الأجيال، مما يبقى على الجو النفساني الذي ألفه الإنسان وعلى روابطه العاطفية وذلك يقوي الروابط الاجتماعية ويحفظ للعائلة تماسكها ويغذي جوها الروحي والاجتماعي، ولكنها ترى أيضاً أن الإرث يؤدي إلى ترسيخ تفاوت الفرص أمام الأفراد وإلى استمرار الطبقة من جيل إلى الجيل الذي يليه وإلى الحصول على دخل بدون القيام بأي جهد لذلك تحدده بشكل صارم وتجعله في كثير من الأحيان رمزياً لمنع الأبناء من عيش البطالة والكسل غير المنتج والفساد، ونسبة الإرث المباح تحددها الدولة بقوانين تناسب الظروف، وهي على العموم تقتصر على وسائل الاستهلاك ووسائل الإنتاج اليدوي التي يستطيع الابن وعائلته استعمالها بأنفسهم.

والخلاصة: [ يعترف بحق التملك وحق الإرث في حدود ضيقة جداً لا تسمح بالاستغلال ولا تخل بانسجام المجتمع ] أ. ه سبحان الله، قل أنتم أعلم أم الله، ألا له الخلق والأمر، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

هذه هي الاشتراكية عند البعث وهي كما ترى ليست فقط مخالفة لدين الله القيم بل مضادة له مناقضة لنصوص القرآن والسنة.

إنها عقيدة أخرى غير الإسلام بل ضد الإسلام، تلقاها البعث من الشيوعية الماركسية وألبسها اسم العروبة فجاءت مسخاً غريباً اسمها الاشتراكية العربية.

أما "الحرية" فكلامهم عنها في المجال السياسي عام، ومبهم ومتناقض وواقعهم أبعد ما يكون عنها، أما في المجال الديني والاجتماعي فيصرحون بحرية الدين وحرية المرأة... إلخ.

يقول عفلق في كتابه ص 264: [ ... الحرية على كل اتساعها وأبعادها التحرر من الاستعمار ومن الأجنبي ونفوذه واستغلاله بكل أشكاله والتحرر في الداخل الذي يشمل النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية ].

وعندما شرحت موسوعة العراق الحديث معنى الحرية جاءت بالعجب العجاب فهي تقرر في ج 2/ص 406 أن النضال العسكري ضروري للحرية حتى ولو أدى ذلك إلى التدخل في أي بلد عربي يزرع تحت أي سياسة غير السياسة البعثية وتقرر الموسوعة أن النظام البرلماني هو طريقة برجوازية ومناقضة للحرية، وأن الحكم الديني - الشيوعية - تخلف ورجعية.

وتقرر الموسوعة في 410/2 لوناً من ألوان الحرية وهي حرية المرأة فتقول: [ ... إن المجتمع الاشتراكي هو وحده الذي يوفر ظروفاً موضوعية لتحرير المرأة على نحو سريع وجذري.

إن الحزب والسلطة الثورية يجب أن يعملوا على مكافحة السلبية تجاه المرأة وأن يعملوا لتصفية آثار الأفكار الرجعية — طبعاً يقصد بها الإسلام —.

إن حرية المرأة الحقيقية لا يمكن أن تتوافر إلا بالنضال على جبهتين:

النضال ضد الأطر والتقاليد والعادات المختلفة، والنضال ضد المفهوم البرجوازي الشكل للحرية، وربط هذا المفهوم الجديد لحرية المرأة بقضية البناء الاشتراكي للمجتمع العربي [.

وتقول الموسوعة في 440/2 عن المرأة:

[ إن علينا أن نعمل على توفير التعليم وفرص العمل الواسعة للمرأة وعلى مساواتها بالرجل في الجواب الحقوقية، كما أن علينا أن نناضل لفضح الاتجاهات والأفكار الرجعية والمتخلفة التي تحط من قدر المرأة ”وهم يقصدون بذلك الإسلام“ وتنتظر إلى وجودها الإنساني من زاوية واحدة وأن نضع حداً حاسماً للمواقف والممارسات التي تنبع من المنطلقات البالية في النظرة إلى المرأة ] .

ثم تذكر الموسوعة الأساليب المتدرجة التي يسلكها حزب البعث في الوصول إلى الحرية البعثية للمرأة التي أصبحت باسم الحرية سلعة في سوق النخاسة وأمة في سرايب الأحزاب.

تقول الموسوعة: [ وفي هذا الشأن علينا أن نضع في حسابنا ونحن نناضل على طريق المجتمع ومن ضمنه المرأة، أن لا تتخذ تدابيرنا طابعاً متسرعاً وانفعالياً وغير مدروس، مما يتيح ذرائع وأغطية للرجعية المحلية والعربية للتحرك المضاد للثورة، كما أن علينا أن نحذر ونحذر من جعل العقلية الرجعية المضادة ذريعة للتقاعس عن السير في خطة مبرمجة لتحقيق مهمات التحرر المطلوبة لأن إبقاء القيود الراهنة التي تعيق تحرر المرأة هو بحد ذاته من أسباب بقاء الرجعية وقوتها ] .

ومن أجل توسيع حرية المرأة بالمقياس البعثي سعوا إلى تكوين خلايا بعثية تضم إليها تنظيمياً النساء اللواتي تشبعن بالحرية والاشتراكية والانقلاب والثورية والعلمانية يقول العيمسي في كتابه ص 206: [ أما بالنسبة للنشاط النسوي فقد بدأ بشكل فردي منذ عام 1953 م وتشكلت أول خلية نسوية في صيف 1954 م ثم نشطن في السنوات التالية وتعرض بعضهن للاعتقال والمضايقة في عام 1956 م وبعده.

-ثم يضيف في الهامش - أقدم البعثيات سعاد خليل، ومعيينة نايف، وسلمى خليل إسماعيل، وآمنة مهدي خضر، وحصّة منيف، ونوار حلمي، ونظيمة الجنابي وحصّة منيف حداثيّة شهيرة أسألوا الملاحق الأدبية لدينا عن أخبارها وأعمالها الفكرية. هذا نمط من أنماط الحرية البعثية، وإليك نمط آخر: يقول عفلق في ص 174:

[ البعث العربي حركة قومية تتوجه إلى العرب كافة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وتقّدر حرية الاعتقاد وتنظر إلى الأديان نظرة مساواة في التقديس والاحترام ].

والله تعالى يقول: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾. ويقول سبحانه: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ .

ويقول جل وعلا: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ .

إن حرية الاعتقاد ونظرة المساواة بين الأديان لديهم ليست إلا لنزع عقيدة الإسلام من نفوس المسلمين، لأن العرب ليست لهم ديانة إلا الإسلام وإن وجدت بعض البثور النصرانية واليهودية



فهي لا تشكل شيئاً بالنسبة لأعداد المسلمين، إن الإسلام هو المستهدف بهذا الكلام الكفري المناقض تمام المناقضة لصريح القرآن الكريم.

ثم انظر من جانب آخر إلى حرية الاعتقاد لدى حزب البعث وهو حزب عقائدي كما يقررون وكما هو الواقع، أي أنه دين واعتقاد بل هو عندهم إيمان كما يقول عفلق في ص 105: «الرسالة العربية إيمان قبل كل شيء ولا يعيبها هذا أو ينقص من قدرها، فالحقيقة العميقة الراهنة هي أن الإيمان يسبق المعرفة الواضحة وأن من الأشياء ما هو بديهي لا يحتاج إلى براهين ودراسات إنه يدخل القلب ويمتلك العقل دفعة واحدة».

إنه دين قومي جديد يقوم على العقيدة البعثية وعلى الإيمان الوحدوي الاشتراكي، ويؤكد عفلق على أن الإيمان بالقومية كحقيقة مطلقة أمر لا بد منه فيقول كما نقل عنه زهير المارديني في كتابه الأستاذ ص 300:

[إنها حب قبل كل شيء، إنها العاطفة نفسها التي تربط الفرد بأهل بيته وإنها مثل الدين تنبع من القلب وتصدر عن إرادة الله].

ويرى عفلق أن الاعتقاد القومي والوجود البعثي حتمي وضروري وهو المنقذ والمحرر والمخلص، وأنه هو القدر الذي لا مفر منه:

فيقول في ص 52:

[إن حركة البعث العربي الاشتراكي أصبحت في بلاد العرب شيئاً لا يمكن نكرانه وأستطيع أن أقول بأن حركتنا أصبحت قدر العرب في هذا العصر].

ويقول في ص 186:

[ إن القومية العربية لدى البعث هي واقع بديهي يفرض نفسه دون حاجة إلى نقاش أو نضال  
.[

ثم يستطرد في وصف الرسالة الخالدة للقومية العربية ويؤكد أنها هي الباقية والمستمرة والمتجددة  
والتي لا تنفك عنها صفة الديمومة مطلقاً. وفي موضع آخر يضيف عفلق على العقيدة البعثية –  
التي قرر سلفاً أنها حتمية وأنها خالدة – صفات الحفز والتحريك ويطالب أن تنتقل من مجرد  
الأفكار إلى واقع العمل فيقول في ص 238:

[ كانت عقيدتنا حافزاً ومحركاً واليوم حان الوقت لتصبح منهاجاً عملياً نعبئ أقصى إمكانياتنا  
لتحقيقه في وعي تام لأهداف نضالنا القومي البناء ].

إذن الحرية الاعتقادية للأمة العربية ينادي بها البعث إذا كان الكلام عن الدين – والعرب ليس  
لهم سوى دين الإسلام – أما إذا كان الكلام عن العقيدة البعثية القومية الاشتراكية فإن حرية  
الاعتقاد والانتماء تتلاشى ويصبح الكلام حينئذ عن الحتمية القومية والرسالة البعثية الخالدة  
والقدر القومي الاشتراكي اللازم.

ليس هذا في مجال التنظير الفلسفي للبعث فقط، بل حتى في التطبيق العملي لهم، فعقوبة  
الإعدام في القانون البعثي العراقي تطبق في حالات عديدة من ضمنها: من ترك حزب البعث  
وانتمى بعد تركه إلى أي حزب آخر، ليس هذا فحسب: بل من انتمى إلى حزب البعث وآمن به  
وعمل له ولكنه أخفى عن الحزب انتماءه السابق قبل انضمامه لحزب البعث فإن جزاءه القتل .

وكذلك يقتل من سعى لإقناع شخص بعثي بفكرة أو عقيدة أخرى أو جهة سياسية غير  
حزب البعث، بل يُعدم كل من فعل ذلك بشخص كان في حزب البعث ثم انتهت علاقته به.

وإليك ما يثبت ذلك:

في المادة 200 من قانون العقوبات العراقي، وهي خاصة بعقوبة القتل، جاء ما يلي:

”كل من ينتمي إلى حزب البعث الاشتراكي، إذا أخفى عن عمد انتماءاته وارتباطاته الحزبية والسياسية السابقة“.

”كل من انتمى أو ينتمي إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، إذا ثبت أنه يرتبط أثناء التزامه الحزبي بأي جهة حزبية أو سياسية أخرى، أو يعمل لحسابها ولمصلحتها“.

[التعديلات الذي أدخلت على المادة 200 من قانون العقوبات العراقي في عام 1974 م].

”كل من انتمى أو ينتمي إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، ويثبت انتماءه بعد انتهاء علاقته بالحزب إلى أية جهة حزبية أو سياسية أخرى أو يعمل لحسابها ولمصلحتها“.

[التعديل الذي أدخل على المادة 200 من قانون العقوبات العراقي في عام 1976 م].

”كل من كسب إلى أية جهة حزبية أو سياسية شخصاً له علاقة تنظيمية بحزب البعث العربي الاشتراكي، أو كسبه إلى تلك الجهة بعد انتهاء علاقته بالحزب بأي شكل من الأشكال، وهو يعلم بتلك العلاقة“. [التعديل الذي أدخل على المادة 200 من قانون العقوبات العراقي في عام 1978 م].

انظر تقرير وتوصيات منظمة العفو الدولية عن زيارة وفدها إلى الحكومة العراقية من 22 – 28 كانون الثاني 1983 م ص 16.

هذه هي حرية حزب البعث وقد تحققت في أفراد وأعضائه والداعين إليه بالإعدامات والسجون والتشريد كما سبق ذكره.

وهي الحرية التي يدعون إليها ويناضلون من أجل تطبيقها في دولة المستقبل القومي "دولة الوحدة العربية".

وعندما توجهت منظمة العفو الدولية إلى حزب البعث بانتقاداتها لهذه القوانين كانت إجابته مؤكدة لما في هذه القوانين، والتبرير أن ذلك يخص نظام الحياة الداخلية للحزب وإليك نص الإجابة كما وردت في التقرير ص 31:

أ - النشاطات السياسية التي يمارسها أعضاء حزب البعث العربي الاشتراكي، والتي تتعلق بهم، وهي لذلك مسألة داخلية تمس الحياة الداخلية للحزب وبموجب النظام الداخلي، والغرض من هذا الإجراء المحافظة على وحدة الحزب الفكرية والتنظيمية.

ب - أما بصدد محاسبة عضو حزب البعث العربي الاشتراكي عن ارتباطاته السابقة والتزاماته مع أي فئة سياسية أخرى أو العمل لصالحها أو الذي انتهت علاقته بالحزب القائد وثبت أن له ارتباطاً مع حزب أو فئة سياسية أخرى أو عمل لصالحها، وكل من ضم شخصاً وكانت له علاقة تنظيمية مع حزب البعث العربي الاشتراكي إلى حزب أو فئة سياسية على الرغم من معرفته بتلك العلاقة، فإن ذلك يخص نظام الحياة الداخلية للحزب، ولا نعتقد بأن هناك مبرراً لمناقشته من قبل المنظمة، حيث يعتبر ذلك تدخلاً في قضايا لا علاقة للمنظمة بها.

ومن فضائل حرية حزب البعث أن كل شخص أدى الخدمة العسكرية موظفاً أو متطوعاً أو مجبراً بقي في الخدمة العسكرية أو تركها، وثبت أنه اشترك في أي نشاط سياسي غير حزب البعث أو انتمى إلى أي انتماء غير حزب البعث فإن جزاءه الإعدام.

فإذا علمنا أن المجندين في العراق يصل عددهم إلى مليون شخص تبين لنا أنهم ينعمون بحقوق الحرية البعثية ويتقبلون في رفاة قوانين حزب البعث العربي الاشتراكي.

جاء في تقرير منظمة العفو المذكور قبل قليل وفي ص 17 منه قراران لمجلس قيادة الثورة في الجرائم العسكرية التي يُعاقب عليها بالإعدام أحدهما برقم 1357 بتاريخ 10 تشرين ثاني 1971 م والتعديل اللاحق به في 1976 م.

والثاني برقم 884 بتاريخ 17 تموز 1978 م ونصهما ما يلي:

”يحظر أي نشاط أو تنظيم سياسي داخل صفوف القوات المسلحة العراقية ويكون ضاراً بحزب البعث“

”جميع العسكريين الذين ينضمون إلى تنظيم سياسي محظور، أو يمارسون نشاطاً سياسياً محظوراً بغرض كسب أشخاص أو نشر مبادئ أو ميول ضارة بحزب البعث المشار إليه أعلاه يعاقبون طبقاً للقانون“.

”كل شخص من القوات المسلحة (بما فيها الشرطة وقوات الأمن) من المتقاعدين أو المتطوعين المتسرحين من الخدمة أو المنتهية خدمتهم لأي سبب كان بعد ثورة 17 تموز 1968 م إذا ثبت انضمامه أو عمله لحساب أو لمصلحة أي حزب أو جهة سياسية عدا حزب البعث العربي الاشتراكي.“

كم تأملت هذه الأمة وكم عانت من السفاحين، أمثال أبي مسلم الخرساني والحجاج، ولكن لسان حالها الآن وهي تقارن بين أفعال هؤلاء وأفعال أولئك ينطق بقول الشاعر:

رب يوم بكيثُ منه فلما صرثُ في غيره بكيثُ عليه

أما الوحدة فهي ثالوث العقيدة البعثية كما يقول شاعرهم محمد جميل شلش وهو حدثي معروف في ديوانه ”البعث“ ص 64 و ص 65:

أوريت أن الفكر في جنباتها      وأنرت درب الشك وهو عثار  
ورفعت ثالوث العقيدة فازدهى      فجر وتاه على النجوم شعار  
وسرى بأعراق الجموع يشدها      للوحدة الكبرى دم موار  
فتبارك المسعى وجلت طلعة      تهفو لها الأسماع والأبصار  
وتجسدت للثائرين رسالة      صلى على أعتابها الثوار  
وجبلت أنك واحد متوحد      ما للطليعة عن هواك خيار  
فأنر لنا نهج العقيدة لاحقاً      تشرق بفجر ربيعك الأنوار  
يا صانع الثورات بورك صنعك      الزاكي وبورك صوتك الهدار  
أقوى من الردات فكر نير      ودم به ليل النضال يُنار  
قسماً بسرك والهوى أسرار      شرف العقيدة أن يقر قرار

الوحدة في العقيدة البعثية أمر لا بد منه، ولا مفر من الوصول إليه من خلال الطابور الخامس في الأقطار العربية وهم كل بعثي وقومي وعلماني وإباحي من الكتاب والمثقفين والصحفيين وذوي المناصب ممن يؤمن بفكرتهم ومنهجهم أو يشاركونهم في بعض المرامي والأهداف.

غير أن ما يطرحه البعث من أساليب لإيجاد الوحدة لا يتوقف عند هذا الحد بل هناك أسلوب الانقلاب العسكري، وأسلوب الثورة المسلحة، وأسلوب التدخل العسكري البعثي المباشر لإيجاد حكومات بعثية أو ضم الأقطار أو بعضها إليه، وأسلوب التحالفات السياسية والعسكرية

والاقتصادية والتعليمية وغيرها، وأسلوب إقامة الوحدة بين البلدان العربية على أساس علماني إذا كان للبعث فيها وجود من خلال أفراد أو مؤيديه ومناصريه وإن لم يكن حاكماً، لأن في ذلك تمهيداً واضحاً لمبدأ الوحدة تحت سيطرة البعث وحكمه، وإليك بعض ما سطره البعث حول الوحدة:

**أولاً:** من حيث هي عقيدة بعثية فكرية وعملية: يؤكد ميشيل عفلق في كتابه ص 269 على ذلك ويسميتها عقيدة الوحدة.

ويؤكد أنها طلسم الطلاسم ومفتاح كل القضايا وطريق كل خير ونماء وقوة وسعادة للعرب فيقول في ص 196:

[... ولئن وقعت أخطاء فالوحدة هي أعمق من كل شيء وهي قادرة على أن تصحح الأخطاء، وما هذا الإصرار والاستعجال في تحقيق خطوة عملية نحو الوحدة إلا دليل على حاجة الأمة إلى أن تشق طريق الوحدة لأنه طريق القوة، والوحدة مازالت تحتاج إلى جيل يؤمن بها، يناضل من أجلها.. يتابع رسالته على الأسس الصحيحة على المبادئ الديمقراطية والاشتراكية لكي يجد فيها الشعب ما يطمح إليه.. ومازالت تحتاج إلى جيل يؤمن بها مناضل يخلق وعيها وينمي نضالها ويكافح عقلية التجزئة ورواسبها والمصالح الآنية للتجزئة.. إن السبيل إلى جعل الوحدة وحدة شعبية اشتراكية ديمقراطية هو الإيمان بها وتبنيها والعمل لها لا الخوف منها وتركها للصدف والظروف. ولا يتم لنا بعث عربي حقيقي إذا لم تتوحد جميع أقطارنا].

وعندما يعزف البعث على جوقة الوحدة فإنه يعلم أنها حلم جميل للذين آلمهم حال هذه الأمة من تمزق وشتات وتفتت وعمالة، ولاشك أن الوحدة أمر محبوب مرغوب فيه ولكن على أي شيء تكون الوحدة؟.. وما صفاتها وما مقوماتها؟

- الإسلام يريد لها وحدة لكل الأمة الإسلامية عربيها وغير عربيها، والقومية – وعلى رأسها المسمار البعثي – تريد لها وحدة للعرب فقط.
- الإسلام يريد لها وحدة على أساس شرع الله، والبعث يريد لها على أساس الكفر الاشتراكي والشرك العلماني.
- الإسلام ينادي بها حقيقةً وصدقاً، والبعث يريد لها وسيلة لتسلطه وبغيه وفساده وانحرافاته العقديّة والسلوكية.
- الإسلام يريد لها وسيلة للخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، والبعث يريد لها وسيلة لسفك الدماء وانتهاك الأعراض ومصادرة الأموال باسم الحرية والاشتراكية.
- الإسلام يريد لها بشارة خير وهدى للإنسانية كلها، والبعث يطبقها عنصرية وشعوبية وعرقية تحتقر العناصر والأعراق الأخرى وتريد فناءها.

**ثانياً:** يرى عفلق – مؤسس البعث وقسيسه – أن الوحدة عقيدة ثورية قبل كل شيء وأنها فكرة انقلاية وعمل نضالي، وأنها هي خلاصة الفكر البعثي، وأنه لا بد من اتخاذ جميع الوسائل المختلفة في سبيل الوصول إليها.

وها هي أقواله المأخوذة من انجيل البعث – كتاب في سبيل البعث: يقول في ص

:193

[ إن الوحدة هي الوحدة هي شرط لازم للنضال الشعبي التحرري ضد الاستعمار وضد الاستغلال ].



-ثم يضيف قائلاً - فتورة الوحدة إن لم يتبناها الشباب العربي الثوري ويخلقوا فكرتها خلقاً وينموا وعيها ويخلصوا لنضالها فإنها ستبقى مادة للتضليل، وبالتالي لن ينجح لا النضال التحرري ولا الاشتراكي إلى أن قال - إنها الوحدة الثورية في هذا العصر، وحدة تنهض على أكتاف الجماهير وتمتزع بالنضال الاشتراكي ].

ويقول في ص 205:

[ فكرة الوحدة العربية هي الفكرة الانقلاية بالمعنى الصحيح لا يدانيها في انقلايتها التحرر من الاستعمار على ما فيه من جدية وقسوة ولا التحرر الاجتماعي الاشتراكي الذي يصدىم في المجتمع أضخم المصالح وأقوى العادات والنظم ].

ويقول في ص 207 واصفاً طريقة إيجاد الوحدة:

[ والوحدة ليست عملاً آلياً تتم من نفسها نتيجة للظروف والتطور فالظروف لا تخدمها والتطور قد يسير معاكساً لها، نحو تبلور كاذب للتجزئة، فهي بهذا المعنى فاعلية وخلق، ومغالبة للتيار، وسباق مع الزمن أي أنها تفكير انقلاي وعمل نضالي ].

ويقول في ص 211 مبيناً الأساليب المرحلية التي تتحقق بها الوحدة:

[ ونحن عارفون أن التحقيق النهائي للوحدة يتطلب وقتاً ومشقات ونعرف أن بين الأقطار العربية تفاوتاً في الأوضاع والظروف الخارجية والداخلية ونعرف أن الوحدة تتحقق على مراحل ].

وكلامه هذا توجه به إلى أتباعه في البلدان العربية في اجتماعهم به حيث بدأه بقوله:

[ أيها الإخوان: بدأ حزبنا قبل خمسة عشر عاماً ونادى بفكرة اعتقد بأنكم تعرفون خلاصتها، والوحدة أبرز شيء فيها ] ص 209.

أي أنه ينادي بالمرحلة من خلال البعثيين التابعين له في البلدان العربية التي لا يتمكن فيها البعث من الثورة والانقلاب والتدخل العسكري أما التي يتمكن فيها بهذه الطريقة فإنه لا يتوانى عن تطبيقها.

يقول عفلق في ص 216 و 217:

[ إذا أردنا أن نجيب على سؤال: ما هي الخطوات العملية نحو الوحدة العربية؟ فجوابنا هو بالدرجة الأولى والأهم هذا الذي ذكرت:

النضال الموحد، فالوحدة العربية قبل أن تصل إلى طور التحقيق السياسي والإنشائي يجب أن تبنى في جو النضال في صميم النضال، ولا يجوز لنا أن نغفل هذه الناحية — وهذا ما يريد السياسيون أن يغفلوه لأنهم لا يريدون الوحدة لأنها تقضي على زعاماتهم.. فنحن إذن واضعون جداً في هذه النقطة: الوحدة العربية هي قبل كل شيء نضال ووحدة في النضال، النضال هو المعبر الصحيح عن الأمة، فإننا في النضال نبني أسس حياتنا المقبلة، في النضال تزول عوامل الانحطاط.

والنضال الذي يريده عفلق وحزب البعث هو النضال العسكري والانقلاب العسكري والثورة الدموية، ودليل ذلك ما قاله عفلق في ص 48:

[ وإنني أكرر ما قلته مراراً بأن الانقلاب هو محور حركتنا الذي يميزها عن سائر الحركات الأخرى ويجب أن يفهمه البعثيون فهماً داخلياً عميقاً.. فالانقلاب الذي يدعوه إليه البعث العربي لا يستطيع أن يدعو إليه أي حزب آخر.. وهو يعني بصورة خاصة أن العرب لا يمكن أن يصلوا إلى

أهدافهم إلا إذا ساروا في ذلك مدة طويلة في طريق طويلة وفي اتجاه معاكس لهذا الواقع الذي نعيش فيه [ .

ويضع في ص 72 عنواناً لأحد مقالات كتابه "في سبيل البعث" وفيه يلخص أسلوب حزب البعث في تقرير عقيدته ونشر اشتراكيته فيقول:

[ البعث العربي هو الانقلاب ] ويضيف في ص 77 قائلاً تحت عنوان "التنظيم الانقلابي": [ إن الصفة المميزة للبعث العربي هي انقلابيته ] .

ويفسر عفلق مقصده بالانقلاب فيقول تحت عنوان "الزمن والحركة الانقلابية" في ص 80: [ الحركة الانقلابية بتعريفها تعني عدم ترك الزمن يسيطر على مقدرات الأمور.. وأنه لابد من ظهور الحركة التي يقوم بتبديل الأوضاع قبل يفوت الوقت فهي إذن الحركة التي تعجل سير الزمن.

-ثم يضيف - ففكرة السرعة هي صميم الحركة الانقلابية، وهذا يفترض أن تكون هناك حركة -تستطيع السيطرة على الزمن وتعجيله [ .

وهذه العبارات العفלקية ليست مجرد تنظير فلسفي أو تعبير إنشائي بل هي تطبيق وعمل ومبادرة وسرعة في الانقلاب كما يحدث الآن في الكويت منذ صباح 1411/1/11 هـ.

وهذه الانقلابية من أجل تحقيق الوحدة العربية البعثية تتم مرة بالثورة من الداخل، ومرة بالاجتياح العسكري، وبغير ذلك من الأساليب التي تصب كلها في حوض: حزب البعث القومي العربي الاشتراكي العلماني الذي لا يطمح في ضم البلدان الصغيرة ومنابع النفط إليه فحسب بل يطمح في أن يحكم البلدان العربية من المحيط إلى الخليج، وهذا المعنى وحده هو مراد البعثيين بشعارهم "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة".

وهو مرادهم بالنضال والصراع والانقلاب والمعركة والبعث والتجديد والفاعلية وغير ذلك من الألفاظ التي يجمعها - عند البعثيين - الثالوث الاعتقادي: وحدة، حرية، اشتراكية.

يقول عفلق في ص 273:

[ وأول ما تتطلب منا هذه المعركة، وهي أولاً وآخرها معركة الوحدة العربية، أن نطبق فعلاً وبكل إخلاص وجدية مبدأ الوحدة، وحدة النضال، وأن نعتبر العراق اليوم ساحة نضال لجميع العرب ].

ويقول في ص 86 مفصلاً عن أسلوب وأدوات البعث في تمكين نفسه وتحقيق وجوده:

[ والآن نتساءل عن وسيلة الانقلاب؟ ]

صحيح أن الانقلاب فكرة ولكن لا بد لهذا الفكرة من أشخاص يفهمونها ويؤمنون بها ويمثلونها ثم يحققونها، إذن للانقلاب أدوات حية من البشر هم الذين يعتنقون فكرته ويناضلون في سبيل تحقيقها، وبمقدار ما يكون اعتناقهم للفكرة عميقاً ونضالهم في سبيلها صادقاً، يكون الانقلاب قوياً كاملاً، فالانقلاب إذن هو صورة للذين يؤمنون به ويعملون له. - ثم أضاف قائلاً - لا انقلاب بدون صراع: لا شك أن الغرض الظاهر للانقلاب هو إزالة الأوضاع المصطنعة المفروضة على الأمة والتي تشوهها سواء أكانت هذه الأوضاع سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، ولكن الأوضاع تتمثل في أشخاص، وهي عبارة عن عقلية أشخاص ومصالحهم وعاداتهم يألّفون هذه الأوضاع ويحرصون عليها ويدافعون عنها، فلا يمكن محاربة هذه الأوضاع إلا من خلال الذين يتمسكون بها ويستفيدون منها، إذن حركة الانقلاب لا بد أن تهز كل الذين يستسلمون للأوضاع الفاسدة ولا بد أن تعاكسهم [ ].

وإذا انتقلنا إلى منظر آخر من منظري حزب البعث وهو منيف الرزاز فإننا نجده يشرح عقيدتهم في الوحدة العربية ويضع لها الفلسفات المتعددة، وننقل هنا بعض أقواله:

يقول في ج 3 ص 122:

[ الوحدة العربية هدف أساسي بل الهدف الأساسي للحركة القومية العربية وهي كذلك مطلب جماهيري ].

ويقول في ص 135 في الجزء نفسه:

[ إن الوحدة العربية بالنسبة للأمة العربية قضية مصيرية وأساسية ].

ويضيف بعد صفحتين: [ أما البعث وهو التنظيم القومي المتجاوز حدود الأقطار المالك للتركيب اللازم من أجل قيام الوحدة، والذي جعل الوحدة العربية منذ البدء أساس أهدافه ووسائله معاً ولخص كل معاركه بكلمة الوحدة ].

أما كيفية تحقيق الوحدة العربية البعثية الاشتراكية فيصفها الرزاز في ج 3 ص 262 بقوله:

[ فالحزب يدرك أن الوحدة غاية لا بد أن يناضل الحزب وأن يناضل الشعب من أجل تحقيقها نضالاً شرساً عنيفاً وممتداً على مدى الزمن قد يطول وقد يقصر - إلى أن قال - الحزب حين يجعل من الوحدة شعاراً له لا يطرح هذا الشعار من حيث هو غاية أساسية لا بد من تحقيقها فحسب وإنما يجعل من الوحدة منطلقاً قومياً أساسياً له لفهم الذات وفهم الهوية ].

ثم يضيف في ص 265 موضحاً غاية حزب البعث من الوحدة العربية فيقول:

[ إن استكمال صورة البناء الاشتراكي للمجتمع لا يمكن أن يتم إلا في إطار الوطن الكبير ولكن كل خطوة يسيرها القطر نحو البناء الاشتراكي هي خطوة نحو الوحدة العربية ].

ثم يختم كلامه بأن الوحدة العربية التي تتحقق من خلالها الاشتراكية العربية هي التي تسوغ للاشتراكي العربي أن يقول: (اليوم أكملت لكم اشتراكيتمكم) .

ومما جاء في موسوعة العراق الحديث عن الوحدة في الجزء الثاني ص 402 وص 403:

قولها: [ إن رسالة البعث تتلخص في تحقيق الوحدة العربية وإن النضال من أجل الوحدة يشكل المبرر الأول لوجوده. وإن الوحدة أكثر أهداف القضية العربية ثورية.

وإن المفهوم الثوري للوحدة يرفض التصور السياسي الذي ينظر للوحدة على أنها جمع أعداد، وربط خارجي سياسي آلي بين الأقطار.. لأن الوحدة الحقيقية هي نوع جديد مختلف عن الوحدة السياسية التي تجمع التجزئة وتضيف التخلف إلى التخلف هي وحدة نضال تحقق وحدة الفكر والتوجه والطموح ].

ثم تستشهد الموسوعة بكلام عفلق حول الوحدة والذي قاله في عام 1969 م:

قال: [ الوحدة العربية لا يبنها إلا الكادحون ولن تتحقق إلا إذا كانت وحدة مقاتلة إلا إذا كان الشعب بأكثرته الساحقة مسلحاً يدافع عنها بالسلاح إلا إذا كانت حرب تحرير ].

ثم تشرح الموسوعة كلام عفلق هذا فتقول:

(إن المفهوم الثوري للوحدة العربية وضع حقيقة الأمة في البدء كفكرة موجهة للنضال العربي المعاصر وكان يدرك أن الجماهير العربية الكادحة هي مادة نضال الوحدة وكان يدرك أن التنظيم الثوري الذي يستطيع أن يقود هذه الجماهير نحو تحقيق أهدافها هو التنظيم الوجدوي الفكر، والقومي التنظيم، والثوري البنية).

وما دمنّا قد تحدثنا عن أسلوب الانقلاب كطريقة يفرض بها حزب البعث وجوده بالقوة  
فلنتحدث الآن عن أسلوب آخر يتسم بالهدوء والرقّة والموضوعية:

إنه الأسلوب المسمى بالإبداع أو الحداثة: وإليك ما يثبت ذلك:

1/ تختص الحداثة والإبداع في تعريفات أصحابها لها بأنها تتجاوز لكل مألوف وسائد وأنها تعبير  
جديد ضد كل المعوقات التي تأتي في صميم الواقع الاجتماعي وكل التناقضات الماضية. كما  
يقول أحمد عائل فقيه في عكاظ عدد 7489 في 1407/4/28 هـ عند كلامه عن روايات  
البعثي الكبير عبد الرحمن منيف.

إن الحداثة عندهم هي: [ ذلك الإفراز الجدلي الذي يتم بين السباقات وقت صراع لا  
يدرك بالعين المجردة ذلك الإفراز الجدلي المتقدم إلى الأجل والأعمق في رؤية الإنسان والحياة ]  
عكاظ عدد 7412 في 1407/2/10 هـ

إن الحداثة كما يصير أصحابها منهج فكري جديد يسعى لتغيير الحياة تغييراً شمولياً وأن  
عليها أن تصادم الموجود من مؤسسات وأعراف وعادات وآداب عامة وثقافات سائدة، إنها  
كما قال أحدهم في مجلة الإمامة عدد 901 ص 62: «ينبغي أن نخلع جبة الأصول وقلنسوة  
الوعظ لنترك للشاعر حرية مساءلة التجربة ونقض الماضي وتجاوزه ولنترك لأنفسنا فسحة لنصغي  
لتجربته الجديدة وما تقترحه من أسئلة، ليس هذا من حق الشاعر فحسب ولكنه حق حياتنا  
المعاصرة علينا».

إن الحداثة كما قال أحدهم: وكما نشرت مجلة الشرق عدد 369 في 1406/12/3 هـ  
«الحداثة مفهوم شمولي هي أوسع مما منح لنا ومما ارتضينا لأنفسنا ذلك، إن الحداثة نظرة للعالم

أوسع من أن تؤطر.. إنها النظرة التي تمسك الحياة من كتفيها تهزها هزاً وتمنحها هذا البعد الجديد».

وهذا الطرح الذي يقوله الحداثيون هو عين الطرح الذي يقوله حزب البعث، يقول عفلق في ص 17: [ نعم إننا ثوريون ندعو لشكل جديد من أشكال المجتمع ].

ويقول في ص 44:

[ ... لابد للبعثيين كمجموع وللبعثي كفرد من نظرة تقويم إلى الحياة أي لابد للحركة من نظرة أخلاقية، وأستطيع أن أتوسع أكثر من ذلك لأقول بأن الحركة تحتاج لا إلى نظرة أخلاقية فحسب بل إلى نظرة فلسفية عامة، أي أن يكون لها نظرة في الكون ومظاهره وعلله وفي الإنسان ومعنى حياته وفي الأخلاق. أقتصر الآن على الكلام عن الناحية العملية البارزة في حركتنا، المهم في حركة انقلابية تتصدى لتغيير مجرى الحياة في أمة هو أن تقلب القيم ].

ويقول في ص 60:

[ نستطيع أن نقول إن حركة البعث تمثل شيئاً جديداً في حياة العرب الحديثة في ناحيتي الفكر والعمل ].

ويتكلم عن إيجاد الجيل العربي الجديد ثم يبين مقومات هذا الجيل فيقول في ص 123:

[ يهمننا أن يكون هذا الجيل لنفسه ثقافة حقيقية متميزة تميزاً واضحاً عن العامية المسيطرة على مجتمعا. وباختصار كيف يجب أن نفهم الثقافة؟ هي أولاً مشاركة في الجهد وليست انفعالاً وتكيفاً، أي إن الذين عليهم أن يتثقفوا يتوجب عليهم أن يتعبوا وأن يتقاسموا الجهد مع مثقفهم وأن يمشوا بأنفسهم خطوات جديدة في طريق المعرفة والتثقيف، إذ لا يجدي قضيتنا شيئاً أن



نجمع شباباً لا يعلمون أكثر من حفظ بعض الشعارات والكليشيهات والأجوبة العامة الموجزة التي يمكن أن تفهم على أي شكل أي أن لا تفهم مطلقاً. على الشعب العربي أن يفهم أن الثقافة هي نوع من أنواع النضال، النضال مع النفس، النضال مع الفكر لكي يتعب في تحصيل المعرفة ولكي يجرؤ على تبديل الأسس السطحية في التفكير الشائع التي هي في داخله لكونه ابن وسطه، لكي يعيد النظر في كل الأمور الأساسية حتى يصل إلى النظرة الجديدة [.

أليس هذا هو عين كلام الحداثيين؟

2/ يتفق الحداثيون مع حزب البعث في العلمانية بمفهوماتها العامة والخاصة.

فالحداثيون يصرون دائماً وبصراحة على أنه ليس للإسلام دخل في قضايا الإبداع والثقافة، وأن معيارية الصواب والخطأ والحسن والقبح والطيب والخبيث لا يصح أن تؤخذ من الدين الإسلامي ليقاس بها إبداع المبدعين ونتاج الحداثيين ويقولون بعد كل هذا نحن لا نحارب الإسلام بل نؤمن به على أنه قيم روحية وعلاقة فردية بين المرء وربه وأنه وجدان داخلي لا يتجاوز ذلك.

والبعثيون يقولون هذه الأقوال نفسها كما سيأتي بعد قليل عند الكلام عن العلمانية والإسلام في نظر حزب البعث.

3/ حزب البعث يطرح مسألة الإبداع والحداثة كأسلوب من أساليب نشر عقيدته فيقول لسان أمينه العام السابق منيف الرزاز في الحوار المسطور بعنوان : "البعث وحركة الإبداع، البعث كحركة إبداع" في الجزء الثالث من ص 195-217 ، تقول ديباجة الحوار ص 196:

[ في هذا الحوار مع المفكر العربي الدكتور منيف الرزاز.. نحاول تحديد بعض السمات الأيديولوجية للطرح الثقافي - الأدبي والفني بالذات - لحركة الثورة العربية كما تمثلت في فكر

البعث وفي أيديولوجيته الثورية، واستخلاص المعالم الأساسية للبعث، كحركة إبداع في مجتمع يقيم نظرتة على أساس جدلي مابين الحاضر والماضي لإبداع المستقبل ].

يجيب الرزاز عن سؤال عن جوهر عملية الإبداع كما هي في بنيتها الثورية وكما هي في بنيتها الحضارية فيقول ص 199:

[ الإبداع في حقيقته ليس خلقاً من عدم – الإبداع هو الإضافة الثورية في قفزة نوعية لما تعطينا إياه الحضارة في أي وقت من أوقاتها، والإبداع بالضرورة مرتبط بالبيئة الاجتماعية والصراع الاجتماعي القائم في عصره – لا يمكن أن يكون هناك إبداع منفصل عن العصر.. ].

ويقول في ص 202 و ص 203:

[ أعتقد أن للأدب والفن مهمة كبيرة جداً في عملية تحرير الإنسان فكل عملية تحرير يجب أن تبدأ بحلم وبصورة في الذهن.. ومن هنا فأنا لا أعتقد أن الإبداع في الفن وفي الأدب يمكن أن ينحصر في الشكل كما هو شائع حالياً، إن الإبداع الحقيقي هو ذلك الحلم الذي يولد في عقل الأديب والفنان والذي يتجه لا إلى ما يمكن تحقيقه حالياً فحسب، وإنما إلى ما نطمح إلى تحقيقه باستمرار.. وظيفة الأديب والفنان هي أبعد من ذلك لأنها ترسم الطريق البعيد وترسم غاية هذه الثورة البعيدة. ومن هنا فإن أية ثورة سياسية حقيقية لا يعبر عنها بالفن والأدب إلى أبعد مما يمكن أن يحققه السياسة والثورة، فهي ثورة ناقضة ومرحلية وتحتاج إلى الأديب والفنان من أجل أن يكمل رسالتها ].

ويقول في إجابته على سؤال عن ارتباط الفن بالخصائص القومية:

[ والأدب الحقيقي ليس كل ما يقال أو يكتب وإنما هو ما يعبر عن الوجود كما هو قائم وعن الوجود كما يجب أن يكون ] ص 203.

ثم يشرح الرزاز كلامه هذا فيقول في ص 204:

[.. فالأدب القومي ليس تعبيراً عن الوجود العربي، الأدب القومي هو تعبير عن الصراع العربي، وصراع الإنسان العربي مع كل القيود التي تحيط به سواء كانت خارجية أو داخلية من أجل تحرر الإنسان العربي وانطلاقه وتحقيق ذاته.. إن من الخطأ فصل الأدب القومي عن أدب الصراع ومن واجب الأديب أن يدرك أنه حين يكون قومياً فهو يجب أن يكون حياً وديناميكياً ومصارعاً ومناضلاً وثائراً، ذلك هو ما يعطي هذا الأدب صفته القومية..].

ثم عقب المحاور قائلاً: أظن أن البعث طرح قضية العلاقة بين الفنان والمجتمع وبين الأديب والمجتمع على نحو متفرد في خصائصه عن طروحات بقية الحركات الفكرية والفنية السائدة في مجتمعا العربي ص 204.

فأجاب الرزاز: [نعم أعتقد أن للقائد المؤسس الأستاذ ميشيل عفلق فضلاً كبيراً منذ نشأة هذا الحزب في ربط الأدب والفن بالمعركة السياسية... يمكن لأي قارئ أن يرجع إلى ما كتبه الأستاذ ميشيل سابقاً ليعرف أنه قد أعطى دائماً الأدب والفن مهمة كبرى في تحقيق الثورة الحقيقية يجب أن تنطلق من داخل المجتمع وعليه، وبالتالي فإن جذور البعث كانت دائماً جزءاً أساسياً من وظيفة الثورة الانقلابية التي نادى بها الحزب منذ نشأته].

وللتأكد من كلام الرزاز عن مؤسس حزب البعث ميشيل عفلق في أنه ربط الفن والأدب بالمفاهيم البعثية، انظر ما كتبه زهير المارديني عنه في كتابه الأستاذ تحت عنوان ميشيل عفلق أديباً من ص 85 – ص 112

وفيه ما يؤكد كل الذي ذكرناه عن ارتباط الحداثة بالبعث.

وعندما سئل: عن الدور الذي يراه البعث للفن والفكر في حركة التطور أجاب الرزاز في ص 207 ذاكراً دور الفكر في صناعة المستقبل وإيجاد الإنسان الجديد ثم أضاف :

[إذا اتفقنا على أن الغاية السياسية لهذا كله هي خلق الإنسان الجديد وخلق الإنسان المتحرر، القادر على العطاء والبذل، والمحقق لطاقاته المفجر لذاته، فإن دور الفن أولاً، والفكر السياسي ثانياً يجب أن يتجاوز في نظرتي وتطلعي على الأقل الحدود التي تفرضها المعطيات المادية. ويجب أن يكون نظرة بعيدة ثاقبة، هناك إذن صراع مستدم يجب أن نعترف بوجوده وأن نحسه وأن نعترف بأن وجوده مفيد وحافز، ودافع للعمل وللحركة، صراع بين قيود الواقع المادي الذي نعيش فيه وبين انفتاح الحلم الذي نطمح إلى أن نعيش فيه] .

وتحدث في موقع آخر في ص 209 عن علاقة فكر وأدب وإبداع حزب البعث بالتراث والفكر المعاصر فقال:

[ارتبط الحزب من جهة بهذا التراث العربي ووجد تعبيراته الحديثة في نظرة هيغل الجدلية التاريخية وفي استكمال هذه النظرة في جدلية ماركس المادية].

ثم ينتقل للكلام عن الاتجاهات الفكرية المعاصرة في الأقطار العربية وأنها ما دامت حديثة مبدعة تقدمية فإنها تصب في تيار البعث حتى ولو لم يكن أصحابها من المنتمين إلى حزب البعث، وفي ذلك دليل على أنهم بالرغم من اختلاف أفكارهم ومناهجهم فإنهم في النهاية يخدمون البعث، وأن البعث يستطيع أن يستخدمهم لصالحه شاءوا أم أبوا، يقول الرزاز في ص 214:

[ في الواقع إن اتجاهات الفكر العربي المعاصر ذي الصفة التقدمية المناضلة إنما تصب جميعاً في تيار البعث ولو لم ترجع في منبتها إلى الفكر البعثي، يكفي أن يكون هذا الفكر أصيلاً وملتجماً بالجماهير وبالتاريخ ليصل ولو بعد لأي إلى حيث وصل الفكر البعثي ].

فيا من يدافع عن الحداثة وأهلها، ويتيح باسم الحيادية لهم ميادين الفكر والنشر، أما سمعت قول الخزاعي:

عدو راح في ثوب الصديق      شريك في الصبوح وفي الغبوق  
له وجهان ظاهره ابن عم      وباطنه ابن فاعلة عتيق  
يسرك معلناً ويسوء سراً      كذاك يكون أبناء الطريق

وقول ابن زنجي البغدادي:

فكم من عدو معلن لك نصحه      علانية والغش تحت الأضالع  
وكم من صديق مرشد قد عصيته      فكنت له في الرشد غير مطاوع

4/ارتباط الحداثيين بمناشط البعث وشخصياته:

وسوف أذكر هنا بعض البراهين على ذلك، وهذه النقطة مرتبطة بما سبقها من نقاط بل لعلها تكون النتيجة العملية لها، ذلك أن البعث يحرص على إيجاد مواطني أقدام لفكره في عقول المثقفين والكتاب ليجندهم في صفه.

ومن مخططات البعث في هذا الصدد ما ذكرته موسوعة العراق 439/2

حيث قالت: [تتطلب مرحلة السنوات الخمس المقبلة استقطاب العدد الأوسع من الفنانين والمتقنين والكتاب ورجال الإعلام إلى جانب الثورة وإشراكهم إشراكاً فعالاً في العملية الثورية التي يقودها الحزب في هذا الميدان].

أما المناشط الثقافية البعثية فكثيرة وأشهرها مهرجان المربد الذي يقيمه حزب البعث ويشارك فيه أهل الإبداع الطليعي في البلدان العربية وذوي الثقافة التقدمية، والذي يطلع على صحافة الحداثة وما تكتبه من ثناء وإشادة بهذا المهرجان وما تنشره من فعاليات تقدم في هذا المهرجان يوقن بالتعاون الوطيد والاستقطاب الأكيد.

أما الارتباط بالشخصيات البعثية والإشادة بها والتفاخر بالتلمذ على كتبها وفكرها فمنها ما يلي:

- قصيدة المفردات لمحمد جبر الحربي التي ألقاها في مهرجان المربد عام 1407 هـ ونشرت في الإمامة عدد 887، والتي فيها نيل من الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن الإسلام، شرحها محمد العلي في نشرة وزعت بعنوان "الأذهان المستطرفة" وأوضح فيها معاني هذه المفردات وفك رموزها وبين أنها مدح في إمام البعث وزعيم القومية العربية "صدام حسين".

- ومن ذلك التوقير الدائم والإشادة المستمرة بأدباء وشعراء حزب البعث المكشوف وانتماؤهم مثل:

حميد سعيد، وسامي مهدي، ومحمد شلش، وعبد الرحمن المنيف، وحصّة المنيف، وسليمان العيسى، وهذا الأخير نصيري بعثي ترجمته في موسوعة السياسة 232/3، وغيرهم من أدباء وشعراء البعث.

وسأكتفي هنا بذكر نموذج واحد وهو عبد الرحمن المنيف صاحب رواية مدن الملح السالف ذكرها وهي أكبر رواية عربية كما يفاخر بذلك الحداثيون لدينا، وتقع هذه الرواية في 2445 صفحة وقد سبق ذكر مضمونها وفيما يلي ذكر بعض ما يتعلق بالمنيف أو روايته:

1 - في أقرأ عدد 641 في 1408/2/29 هـ في الصفحة الثقافية جاء: تقاسيم المنيف تصدر قريباً: يجري حالياً في بيروت في المؤسسة العربية للدراسات والنشر طبع الجزء الثالث من الملحمة الروائية مدن الملح لعبد الرحمن منيف الموسومة

بـ تقاسيم الليل والنهار منيف ذكر لأحد الزملاء الصحفيين أنه يتوقع أن يصدر هذا العمل خلال شهر من الآن.

2 - في صحيفة اليوم في 28/شعبان/1407 هـ مقابلة مع مصطفى إدريس سئل فيها من هو شاعرك المفضل:

أجاب: منجستو على الأقل في التزامه.

ثم سئل: ما هو النص الأدبي الذي تمنيت لو كنت صانعه فأجاب: مدن الملح، ومائة عام من العزلة.

3 - في مجلة اليمامة عدد 822 في 1405/1/8 هـ قالت صفحة أخبار ثقافية صدى مدن الملح التيه: أحدثت رواية مدن الملح/التيه للروائي العربي الكبير عبد الرحمن منيف صدىً واسعاً لدى الأوساط المثقفة وكتب عنها مؤخراً قراءات نقدية جادة وضحت أن عبد الرحمن منيف في هذا الرواية يطرح شكلاً جديداً لم يسبق أن طرحه في رواياته

السابقة، ما يجدر ذكره أن التيه تأتي كجزء أول لمجموعة روائية أسماها مدن الملح وقد كتبت التيه عام 83 وتحكي عن النقلة النفطية لمنطقة من مناطق الوطن العربي.

4 - وكتب محمد الحربي في الإمامة عدد 923 في 1407/12/7 هـ تحت عنوان يومية "من أخرج الرمل من أوراق المنيف وغطى به حجرتك الصغيرة حيث العالم مختزل في مستطيل ضوئي".

5 - وفي عدد 879 في 1406/3/1 هـ أجرت الإمامة مقابلة مطولة مع عبد الرحمن المنيف وكان عنوان هذه المقابلة: "الروائي العربي عبد الرحمن منيف للإمامة: مدن الملح هي المدن التي نشأت في غفلة من الزمن"، وفي هذه المقابلة كانت رواية مدن الملح هي الرائعة والمتفوقة على حد تعبير الإمامة، وفيها تصديق ما زعمناه من أن هذه الرواية تتحدث عن تاريخ السعودية وشخصياتها منذ أن نشأت إلى الآن.

6 - هناك مواطن عديدة في الملاحق الحداثية ذكر فيها المنيف ورواياته على أساس أنه المفكر الكبير والرمز الثقافي الباهر والأستاذ المبدع القدوة واكتفى بالإشارة إلى أرقامها وتواريخها:

الإمامة عدد 852 في 11 شعبان 1405 هـ ص 53، العدد 881 في 1406/3/15 هـ ص 56، والعدد 887 في 1406/4/27 هـ،

واقراً عدد 569 في 1406/8/15 هـ، وعكاظ عدد 7489 في 1407/4/28 هـ.



فهل بعد كل هذا من شك في أن الحداثة أسلوب يستخدمه حزب البعث في بث عقائده؟ وأنها وإياه يلتقيان تحت مظلة العلمنة وعلى مائدة العداء لدين الله. وإن لم يكن هناك لقاءات تنظيمية أعمق من هذا.

#### رابعاً: العلمانية البعثية:

كلمة علمانية هي (secularism) ، باللغة الانجليزية والترجمة الصحيحة لهذه الكلمة هي: «اللا دينية».

ولا صلة لهذه الكلمة بالعلم والمذهب العلمي مطلقاً، وإنما ترجم هذا المذهب نصارى لبنان بكلمة علمانية لثلاث تنفر نفوس المسلمين من الترجمة الصحيحة التي هي اللادينية.

وبذلك استطاعوا أن يمرروا هذا المذهب بكل ما يحويه من كفر بالله ورسوله باسم العلم .

وعلى كل حال فقد أصبح هذا المصطلح شائعاً ويجوي المضمون الغربي نفسه:

تعني كلمة علمانية في مدلولها العام: فصل الدين عن الحياة، أي إقامة الحياة على غير دين الله وتعني في مدلولها الخاص: فصل الدين عن بعض جوانب الحياة مثل فصل الدين عن السياسة، فصل الدين عن الحكم، فصل الدين عن الاقتصاد، فصل الدين عن التربية والتعليم، فصل الدين عن الثقافة أو الأدب... الخ

أي أن العلمانية تطبيق للمبدأ النصراني القائل: «دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر»

فالدين عند العلمانيين ضمير بين الإنسان وربه ووجدان قلبي وإيمان بوجود الله فقط وشعور نفسي، وعلاقة شخصية بين الإنسان وخالقه، وقيم روحية.. إلى آخر تلك الألفاظ التي يتداولها

العلمانيون وتدل كلها على أنه: لا يصح أن يتدخل الله في شئون الناس وحياتهم، وأن الإنسان هو الذي يشرع لنفسه وينظم حياته وفق ما يريد.

وعلى هذا فلا ترى العلمانية بأساً من الصلاة في المسجد والصوم في شهر رمضان والاحتفال بالأعياد الإسلامية والحج إلى مكة والمشاعر وأداء العمرة وكتابة عقد النكاح عند المأذون الشرعي ونحو ذلك، على ألا يتجاوز الإسلام هذه الأشياء.. فيطلبون من الناس أن يكونوا عبيداً لله في المسجد فإذا خرجوا منه أشركوا مع الله آلهة أخرى، إله في السياسة، وآخر في الحكم يسمى القانون وآخر في المال يسمى الاقتصاد الاشتراكي أو الرأسمالي، وآخر وآخر.

وقد استطاع العلمانيون أن يدلّسوا على المسلمين بألفاظ إسلامية يقولونها وشعائر عبادة يؤدونها ومظاهر شرعية يقومون بها.

ولم يفتن الناس إلى أن المنافقين في المدينة كانوا يفعلون ما هو أكثر من ذلك ولكنه لم ينفعهم ولم يرفعهم بل جعل الله منزلتهم في الدرك الأسفل من النار ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ .. كان المنافقون يتلفظون بالشهادتين ويصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم، ويحجون معه بل ويجاهدون معه، ومع ذلك قال الله فيهم:

﴿وبشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾ ، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ ، وقال جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ .

وأهم قضية من قضايا العلمانية هي فصل الدين عن الحياة وعلى الأخص فصل الدين عن السياسة والحكم.

والبعثيون لا يعتقدون غير ذلك، وإن ردّدوا اسم الإسلام وألفاظ الإسلام وأدّوا بعض شعائر الإسلام، ومدّحوا نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، فالواقع أنهم يدينون بدين غير الإسلام ويعتقدون عقيدة غير عقيدة الإسلام، وليس هذا فحسب بل إنهم يحاربون كل دعوة تنادي بالدين الصحيح وينالون من أي داعية وعالم ينادي بأن الحكم لله وأن الحياة لا بد أن يسيرها منهاج الله سبحانه وتعالى، وفي كلامهم وأعمالهم الأدلة الصارخة على ذلك.

يقول ميشيل عفلق في ص 192:

[ وكان التفكير السطحي قبل ظهور حركتنا يوحى أو يوهم بوجود التضاد بين القومية وبين التراث الروحي بحجة الحرص على العلمانية.

ولكن وجدنا أن لا تعارض بين العلمانية وبين الاعتراف بما يغذي روح حضارتنا من تجارب ماضي شعبنا الغنية، فكانت هذه النظرة الجديدة إلى تراثنا القومي نظرة حية واقعية عميقة أرجعت إلى نفوس الشباب الاستقرار الذي فقدوه زمناً وصالحتهم مع ماضي أمتهم دون أن تحمدهم في هذا الماضي ].

وفي مكان آخر يصف ميشيل عفلق الدولة البعثية وأنها تقوم على العلمانية فتحت عنوان

«الدولة في البعث العربي» يقول:

[فالدولة إذن تقوم على أساس اجتماعي هو القومية وأساس أخلاقي هو الحرية - ثم يضيف قائلاً - إن هذه الدولة نقيض الإلحاد والفساد وكل ما هو سلبي هدام، وعلمانية الدولة بهذا المعنى ليست إلا إمعاناً في الحرص على اتجاهها الروحي والأخلاقي] ص 175.

وبعد أن شرح هذه المعاني عقب عليها بقوله ص 176:

[ وما دام الدين منبعاً فياضاً للروح، فالعلمانية التي نطلبها للدولة هي التي بتحريرها الدين من ظروف السياسة وملابساتها، تسمح له بأن ينطلق في مجاله الحر في حياة الأفراد والمجتمع وبأن تبعث فيه روحه العميقة الأصيلة التي هي شرط من شروط بعث الأمة] .

فالعلمانية هي أساس الحكم البعثي أما الدين فممنوع روحي وهذا لوحده كاف في كفر حزب البعث.

ذلك أن الرضا بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً يلزم منه أولاً وقبل كل شيء البراءة من كل دين أو مذهب يخالفه، وإن الإسلام هو مطلق الاستسلام لله عز وجل والانقياد لما أنزله على رسوله، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته.

والذي يدعو إلى العلمانية ويؤمن بالاشتراكية إنما يدعو إلى دين آخر، يقول عفلق في ص 19 من كتابه في سبيل البعث:

[ إذا سئلت عن تعريف للاشتراكية فلن أنشده في كتب ماركس ولينين وإنما أجيب: إنها دين الحياة وظفر الحياة على الموت ] .

والله جل وعلا يقول ﴿ومن يتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ ، ويقول سبحانه: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ .

إن حزب البعث ينكر أن في الإسلام قدرة على سياسة الدنيا وحكم الناس بالشرع وهذا في حد ذاته كفر، وينكر حزب البعث أن يكون الله عالماً بمصالح الناس ولذلك قرروا أن تكون سياستهم علمانية واقتصادهم اشتراكية.

وينكر حزب البعث صلاحية الإسلام لحل مشكلات البشر ووضع المناهج السلمية لهم بل يعتبرون الدين هو الذي يوجد المشكلات لهم، كما قال عفلق في ص 122: [ الدين في الأوضاع الحاضرة هو الذي يخلق المشكلة وهو الذي يساعد على بؤسهم وعبوديتهم ].

ويقول في موضع آخر ص 125:

[ المشكلة الدينية هي بلا شك من أبرز المشكلات في المجتمع العربي الحديث، لذلك لا يعقل أن يتجاهل حزينا وأن يتهرب من إيجاد الحلول لها ]

فهل بعد هذا يستريب الأريب في كفر حزب البعث، والله تعالى يقول: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾

قال الجصاص في أحكام القرآن 181/3 ”وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئاً من أوامر الله تعالى أو أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم“

وقال ابن كثير في تفسيره 520/1 ”يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ولهذا قال: ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾.. أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به

وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد في الحديث: والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به". ولم يكتف حزب البعث بطرح العلمانية مبدأً للحكم بل جعلها مطبقة في دستوره، ونلاحظ في الدستور البعثي ما يلي:

1 - انطلق الحزب في دستوره من منطلق كافر يتمثل في العلمانية والاشتراكية.

2 - انسلخ الحزب في دستوره من الإسلام تمام الانسلاخ.

3 - مبادئ الدستور ليست مخالفة لشرع الله فحسب بل مناقضة له تمام المناقضة.

وللإطلاع على الدستور البعثي في مبادئه العامة والخاصة يمكن الإطلاع عليه في الكتاب القيم "الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام" للأستاذ منير محمد نجيب من ص 36 ص 42. وفي كتاب: العراقي الاشتراكي للدكتور مجيد خدوري من ص 295 إلى ص 324 وسأنقل من هذا الأخير بعض المواد الدستورية لحزب البعث توضح مدى مناقضته للإسلام:

[المادة الأولى: العراق جمهورية ديمقراطية شعبية ذات سيادة هدفه الأساسي تحقيق الدولة العربية الموحدة وإقامة النظام الاشتراكي] ص 295.

[المادة الثانية عشرة: تتولى الدولة تخطيط وتوجيه وقيادة الاقتصاد الوطني بهدف:

أ - إقامة النظام الاشتراكي على أسس علمية وثورية.

ب - تحقيق الوحدة الاقتصادية العربية] ص 299.

[المادة التاسعة والثلاثون: يؤدي رئيس مجلس قيادة الثورة ونائبه والأعضاء أمام المجلس اليمين التالية:

أقسم بالله العظيم وبشرفي ومعتقدي أن أحافظ على النظام الجمهوري وألتزم بدستوره وقوانينه لتحقيق أهدافه العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية] ص 310.

فأين هذا الدستور من الإسلام؟

إنه مضاد للإسلام جملة وتفصيلاً، حتى ولو ادعى البعثيون أنهم مسلمون ولو قاموا ببعض الأعمال الشرعية أو استخدموا بعض الألفاظ والمصطلحات الإسلامية فإن كل ذلك لا يجديهم حبة خردل عند الله ما داموا يتمردون على شرع الله ويردون حكم الله ويكذبون القرآن الكريم والسنة الشريفة ويسعون في آيات الله معاجزين.

فإن من قواعد الإسلام الأولى أن تحكيم الشرع الحنيف حق لله سبحانه وتعالى، وأن تطبيق الشريعة الإسلامية من أصول توحيد الله سبحانه وتعالى كما قال جل وعلا:

﴿إِن الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

وكما قال سبحانه: ﴿وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

ويقول جل وعلا: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً. وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافين يصدون عنك صدوداً﴾

إن ادعاء الإسلام والإيمان سهل يسير.. يستطيع كل أحد أن يرفع عقيرته بأنه مؤمن، ولا يزال المنافقون والزنادقة والمرتدون على مدار التاريخ يدعون الإيمان ويزعمون أنهم مصلحون، فقد ادعى الإسلام نجيب الله وهو زعيم الإلحاد في أفغانستان، وزعمه خالد محي الدين وهو شيوعي تتلمذ على يد اليهودي هنري كوريل وعندما جاءت انتخابات مجلس الشعب في مصر نزل باسم الحاج خالد ونشر صورته وهو في لباس الإحرام وأقام في حزبه لجنة للشؤون الدينية، وادعى الإسلام القاديانيون مع قولهم بنبوّة مرزا غلام أحمد، وادعاه البابية والبهائية والاسماعيلية والنصيرية وغيرهم من أهل الكفر والزندقة.

أفلا يسهل على البعثيين وأشباههم من العلمانيين أن يدعوا الإسلام وهم في الوقت نفسه يلقون أحكامه خلف ظهورهم ويرفعون رايات الكفر الاشتراكي والعلماني.

إنه البغاء في صورة حزب وسياسة وإنها الدياثة في هيئة نظام ودولة وجيش.

وسوف نطرح بعد قليل أقوال البعثيين في الدين ورؤيتهم له ونظرتهم إليه، إلا أنه قبل أن اختتم الكلام عن علمانية حزب البعث أود أن أنقل كلام الأمين العام لحزب البعث صدام حسين حيث أجري معه أمير اسكندر مقابلة ألحقها بآخر كتابه المسمى: "صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً".

سأله في هذه المقابلة قائلاً: [هل تعتقدون أن صيغة الدولة القومية العلمانية يمكن أن تكون الصبغة المثلى لتحقيق الأصالة وتخطي الاغتراب في المكان والزمان وإذا أمكن أن يتحقق ذلك



على صعيد الدولة، أي على صعيد التطبيق العملي فما هي طبيعة الأيديولوجية البديلة  
لأيديولوجية السلفيين التي تنادي بالعودة إلى الماضي؟.. ص 317.

أجاب صدام حسين بإجابة طويلة على هذا السؤال وكان مما قال من ص 321 - ص  
[324] نعود إلى الإجابة المباشرة: هل ينظر إلى العلمانية على أنها تعني الإلحاد أم ينظر إليها  
بأنها تعني أن يكون للدولة مهام وعليها أن لا تغرق بأية حالة دينية تصوراً أو سلوكاً تجعلها  
منتمية على وجه التخصيص إلى جزء من الأمة بدون أن تحظى باحترام وبموافقة الأمة كلها  
وبدون أن تختلف الأمة عليها؟

إن دولة العرب التي نريدها هي الدولة التي يعيش في ظلها العرب بحرية كافية في أديانهم  
ومعتقداتهم الدينية وانتماءاتهم المذهبية..

وهكذا على دولة العرب الحديثة أن تتجنب في أن تكون «بيت» عبادة أو مفتي عبادة أو  
مفتياً للحياة من طريق ديني، وأن تركز على دورها وواجبها بوصفها مفتي الحياة وبيت حياة  
العرب الجديدة الذي يجمع كل أبناء الأمة من مختلف العبادات والاجتهادات والانتماءات في  
ظلّه.. - إلى أن قال - فلو أننا حولنا الدولة إلى مركز للفتوى وللتخصص الديني وللتخصيص  
الفتوي في الانتماء لكننا أخذنا جزءاً من شعب العراق دون أن نأخذ كل شعب العراق.

- إلى أن يقول - ليجتهد المجتهدون وليتناقش رجال الدين فيما بينهم وليقل كل واحد منهم  
رأيه في طبيعة ما يعتقد في المسألة الدينية ولكن على الدولة أن لا تكون مجتهداً جديداً في الحياة  
من مدخل ديني..

ثم يشرح صدام تبريراته لهذه العلمانية - السافرة فيقول:

إن زج السلطة في إعطاء أحكامها على شؤون الحياة من مدخل ديني لابد أن يفضي إلى واحد من أمرين: إما عرقلة التطور في شؤون الحياة وتحويلها إلى جحيم لا يطاق من شأنه أن يقتل إبداعات الإنسان وتفاعله مع روح العصر ومستلزماته أو إفراغ الدين من قدسيته ومهابته وروحه وتحويله إلى غطاء لتبرير الكثير من مفردات الحياة بما يسيء إلى الدين.

- ثم يضيف - إن نظريتنا وضعت لتفسير الحياة وتغييرها ولم توضع لتفسير الأحكام الدينية وتغيير الأحكام الدينية من مداخل دينية اجتهادية، إن وحدة الأمة وفي كل الأحوال تتطلب أن نتجنب هذا التدخل لكي لا نغرق الأمة ونبتعد بها عن دورنا التاريخي لقيادتها وهي موحدة.

- وبعد أن أسهب في شرح ما سبق أضاف - فلذلك ليس من المصلحة لا من الناحية النظرية ولا من الناحية العملية أن يفكر الناس الذين يريدون فعلاً توحيد الأمة ووضعها في حالة جديدة في دورها القومي في أن يعالجوا الحياة من منظور ديني.

... لذلك ليس هنالك أي إنسان يدعي أنه قادر على توحيد الأمة العربية من منظور ديني، إذا ما زج الدين في شؤون تفاصيل الحياة.. وفي كل الأحوال عن التدخل الديني في تفسير الحياة وفي تغييرها كان موجوداً أثناء وقبل أن نصب بعثين، والمنهج الإلحادي الشيوعي كان موجوداً أثناء وقبل أن نصب بعثين، ومع ذلك فإننا رفضنا المنهجين وتوجهنا صوب منهج البعث وآمنا به، ولذلك فإننا نعتقد أن منهج البعث هو المنهج الصائب في تغيير الحياة إلى أمام، وهو المنهج الذي استطاع دون غيره أن يفهم مستلزمات حياة العرب المعاصرة ويضع لها الحلول الناجعة، لذلك كانت نظرية البعث ومنهجها الثوري هما طريق البعثين وعدة نضالهم وليس طريق آخر..

إن هذه المفاهيم تضع القومية في مستواها ودورها الإنساني الصحيح وتترك للدين مستواه ودوره دون الإساءة إليه، وعلى أية حال فإن هذا التفسير ليس تفسيراً للحياة من مدخل ديني، وإنه لا

يتضمن أية إساءة للدين طالما يحترم قيم الدين ومبادئه ويترك للشعب والأمة حرية التصرف في المعتقدات الدينية وطقوسها، إننا ينبغي أن نقول بأن الدين الإسلامي لم يكن بديلاً عن القومية العربية في معانيها الإنسانية ودورها الإنساني [.

هذه هي العلمانية البعثية وهذه هي أبعادها الكفرية ومراميها الإلحادية.

يقول الحافظ ابن كثير يرحمه الله في تفسير قوله تعالى 67/2 ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ :

”ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير“.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية 119/13 ”فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمه عليها ومن فعل ذلك فقد كفر بإجماع المسلمين“.

وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى 267/3:

«والإنسان متى أحل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء».

قال الشيخ المحدث أحمد شاكر يرحمه الله في عمدة التفسير 172/2 - 174 «إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح الشمس هي كفر بواح لا خفاء ولا مداورة ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام - كائناً من كان - في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها».

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم في رسالة تحكيم القوانين ص1:

«إن من الكفر الأكبر المستبين: تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾».

وقال الشيخ محمد حامد الفقي في هامش كتاب فتح المجيد ص 406:

«من اتخذ كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله ولا ينفعه أي اسم تسمى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها».

وقال الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر فيما نقله عنه الأستاذ محمد كاظم حبيب في كتابه: مؤامرة فصل الدين عن الدولة ص 21:

”فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين“.

وقال الشيخ ابن باز في رسالته نقد القومية العربية: ”إن الدعوة إليها والتكتل حول رايها يفضي بالمجتمع ولا بد إلى رفض القرآن، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا بتحكيم القرآن فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام - إلى أن قال - وهذا هو الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة - إلى أن قال - وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة بنص هذه الآيات المحكمات يجب على أهل الإسلام بغضها ومعاداتها في الله..“.

وقال حفظه الله في مجموع الفتاوى والمقالات 274/1:

”وقد أجمع العلماء على أن من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله أو أن غير هدي الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر، كما أجمعوا على أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم أو تحكيم غيرها فهو كافر ضال. إن الذين يدعون إلى الاشتراكية أو إلى الشيوعية أو غيرها من المذاهب الهدامة المناقضة لحكم الإسلام كفار ضلال أكفر من اليهود والنصارى“.

وقال الأستاذ المودودي في كتابه: الحكومة الإسلامية ص 105، 106: ”أصدر الله ثلاثة أحكام في شأن من لا يحكمون بقانون الله المنزل:

الأول : أنهم الكافرون، والثاني: أنهم ظالمون، والثالث: أنهم فاسقون

ومعنى هذا بوضوح أن من يترك حكم الله وقانونه ويحكم بقانون آخر وضعه هو بنفسه أو وضعه أناس غيره يرتكب ثلاث جرائم: الأولى: أن تصرفه هذا يعني رفض حكم الله وهذا كفر.. إلخ ما قال يرحمه الله.

وقال الأستاذ عبد القادر عودة في كتاب التشريع الجنائي الإسلامي 708/2: «ومن الأمثلة الظاهرة على الكفر بالامتناع في عصرنا الحاضر: الامتناع عن الحكم بالشرعية الإسلامية وتطبيق القوانين الوضعية بدلاً منها - إلى أن قال - ومن المتفق عليه أن من رد شيئاً من أوامر الله أو أوامر رسوله فهو خارج عن الإسلام سواء رده من جهة الشك أو من جهة ترك القبول أو الامتناع عن التسليم».

وقال الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه «الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه» ص 73 وص 74: «بل إن العلماني الذي يرفض مبدأ تحكيم الشريعة من الأساس ليس له من الإسلام إلا اسمه وهو مرتد عن الإسلام بيقين، يجب أن يستتاب وتزاح عنه الشبهة وتقام عليه الحجة، وإلا حكم القضاء عليه بالردة وجرد من انتمائه إلى الإسلام أو سحبت منه الجنسية الإسلامية وفرق بينه وبين زوجه وولده وجرت عليه أحكام المرتدين المارقين في الحياة وبعد الوفاة».

وقال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتاب «الحدود الشرعية كيف نطبقها» ص 20: «رد الحكم الشرعي كفر - ثم أضاف - وهذا الحكم لا خلاف فيه بتاتاً أعني كفر من رد حكماً من أحكام الله الثابتة في كتابه أو على لسان رسوله خاصة إذا كان هذا الرد معللاً بأن هذا التشريع لا يناسب الناس أو لا يوافق العصر أو أنه وحشية أو غير ذلك».

وليس المقصود هنا جمع كل الأقوال في هذه القضية وإنما المراد تبيان الحكم الشرعي في العلمانية عموماً وفي حزب البعث خصوصاً.

وفي ختام هذا المبحث أنقل فتوى علماء ودعاة الإسلام في المؤتمر الذي عقد في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في 24-29/2/1397هـ

حيث نشرت أعمال هذا المؤتمر وبحوثه، وكان منها بحث بعنوان "المذاهب والاتجاهات الإلحادية والمعادية للإسلام والفرق المرتدة والزائغة في هذا العصر وموقف الإسلام والمسلمين منها" في المجلد الخامس ص 40.. ومما جاء في هذا البحث على هيئة توصيات:

[ اعتبار القومية من الدعوات والاتجاهات المضادة للإسلام كالباطنية والبهائية والقاديانية والتبشير والاستشراق والرأسمالية الطاغية والاشتراكية والشيوعية والماسونية واليهودية العالمية والعلمانية والإباحية والوجودية ].

## موقف حزب البعث من الدين الإسلامي:

لما فكر عفلق في تأسيس حزب البعث وجد أن رفاقه من الشيوعيين قد سبقوه في التأسيس والانتشار، وأنهم قد أصبح لهم من الوجود ما يحسب له حسابه، فما الموقف الفكري والعملي الذي اتخذته البعثيون من الشيوعيين فكراً وتنظيماً؟

الواقع يثبت أن البعث قد أخذ كثيراً من الأفكار الشيوعية ونادى بها وجعلها أساساً لعقيدته، وإن كان قد حاول أن يلون هذه الأفكار بلون قومي، وأن يلبسها عقلاً عريباً فوق القبة الغريبة.

وطبيعي أن يتبنى البعث هذه الأفكار الماركسية ويدعو إليها تحت صبغة أخرى غير الصبغة اللينينية الستالينية.

ذلك أن ميشيل عفلق يبتدئ تاريخه الفكري بماركس، كما يقول البعثيون.. ففي كتاب الأستاذ زهير المارديني ص 88:

إن البعثيين عندما يذكرون ريادة ميشيل عفلق في ندواتهم فإنهم كانوا يرددون [.. إن تاريخ ميشيل عفلق الحقيقي هو تاريخه الفكري، لقد التقى فيه على الانسجام والوفاق أخصب تيارات الفكر الإنساني من ماركس إلى نيتشه ومن جيد إلى دستوفسكي وأهرنبورغ].

وهذه الخلفية الفكرية لم ينفها عفلق ولم يتنكر لها بل أثبتتها في كتابه مشيداً بالماركسية ومادحاً لها، انظر ص 121 و ص 126 و ص 119 .

وكذلك فعل المنظر الثاني للبعث منيف الرزاز مثبّثاً تميز حزب البعث على غيره بأنه قد استفاد من كل الأفكار السياسية والعقدية التي سبقت حزب البعث وخصوصاً الماركسية:



فيقول في ج 3 ص 259 [ وطبيعي أن يكون البعث قد استفاد من كل فكر سياسي واستوعب المذاهب الجدلية الناشئة من قبله ].

وقال مثنياً على المذهب المادي الديالكتيكي بأنه هو الذي أكد أمل الإنسان ومكانته:

[وجاء الفكر المادي الديالكتيكي ليؤكد أمل الإنسان من جديد وليؤكد دور الواقع المادي الديالكتيكي في توجيه هذا الفكر وليؤكد إمكان بل وحتمية تغيير هذا الواقع المادي وأولوية هذا التغيير على التغيير الفكري] 212/3.

وقال في موقع آخر 241/3 عند كلامه عن استفادتهم من الطرح الماركسي للاشتراكية والفرق بينهم وبين الماركسيين في فهم وتطبيق الاشتراكية وأن الماركسيين في طرحهم للاشتراكية يخالفون ما أتى به ماركس ثم عقب على ذلك بقوله:

[ لا حاجة بنا إلى القول إن مثل هذا الطرح إنما يجعل الماركسية ديناً لا علماً ولا فلسفة علمية وإنه يمنح ماركس مرتبة لم يطمح هو نفسه إلى أن يشغلها بل لعله يرحمه الله (هكذا قال الرزاز) كان يرفضها أشد الرفض].

ويقول في الجزء الثاني من أعماله ص 423:

[لقد بقي فكر ماركس مشعلاً منيراً لكل فكر اشتراكي في العالم المتقدم وفي العالم المتخلف على السواء وبقي منبعاً ثراً لكل دراسة تاريخية أو اجتماعية أو سياسية ومصدراً أساسياً من مصادر الفكر الحديث].

وعندما سأل أمير اسكندر صدام حسين عن الذين أثروا في تفكيره أجاب:

[الواقع من الناحية الفكرية والسياسية العميقة فإن أكثر شخصية حظيت باهتمامي هو لينين كمفكر حي وإنسان ثوري عميق التأثير فعندما يقرأ المرء للينين فإنه يقرأ الحياة بحركتها الحية وبدمائها الحارة]. كتاب صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً لأمير اسكندر ص 351-352.

ويمكن إجمال القضايا التي اشترك فيها البعث مع الماركسية فيما يلي:

1- العلمانية وهي فصل الدين عن الحياة، وإن كان الماركسيون ينكرون الأديان أصلاً ويحاربونها صراحة، بينما يتبنى البعث أسلوباً آخر لمحاربة الدين الإسلامي.

2- الجدلية الديالكتيكية.

3- الثورة.

4- الحتمية، لكنها عند الماركسيين أممية أما عند البعث فهي قومية عربية.

5- الاشتراكية وهي كذلك أممية عند أولئك وقومية عربية عند هؤلاء.

أما في الممارسة فإن أوجه الشبه كثيرة جداً وأظهرها: الفتك والدموية بين أعضاء الحزب الواحد والسفك المتواصل بين الرفاق ومن أقرب الأمثلة إعدام صدام لرفيقه ووزير دفاعه التكريتي وأعوانه.

وما حصل بين الرفاق الشيوعيين في عدن عام 1986م بين أنصار عبد الفتاح إسماعيل وأنصار علي ناصر محمد.

ومن أوجه الشبه في الممارسات بين البعث والشيوعية الاضطهاد للشعوب التي يحكمونها، وانعدام الحرية في البلدان التي يتسلطون عليها بيد أن هناك أوجه افتراق بين البعثية والشيوعية

وسوف أذكر منها ما يناسب المقام هنا، إذ الكلام عن موقف البعث من الأديان وبالأخص الدين الإسلامي.

لقد تميز البعث من أول نشأته بأن استفاد من العوائق التي وقفت في وجه امتداد الفكر الماركسي، وأول هذه العوائق «الدين» فالماركسية تحارب الأديان مباشرة وبصرحة وتعتبرها أفيون الشعوب، فكان ذلك من أسباب انحسارها في البلدان العربية التي تؤمن بالإسلام وتدين به.

ولما رأى البعث هذه النتيجة الظاهرة التي منيت بها الأحزاب الشيوعية في العالم العربي اتخذ أسلوباً آخر في التعامل مع الدين. فهو لم ينكر الأديان ولم يهاجم الإسلام صراحة بل اعترف بوجوده وأثره ومكانته في نفوس الناس، ليخلص من ذلك إلى زحزحته من الواقع وإزالة تأثيره العملي في الحياة.

وقد صرح عفلق في مواطن عديدة أن الماركسيين كانوا أغبياء حين هاجموا الدين الإسلامي وحاربوه علناً، وأوضح أن سبب ذلك هو فهمهم السطحي لمكانة الدين ومنزلته عند الناس، ولذلك فإن حزب البعث تجاوز هذه الإشكالية واستطاع من خلال اعترافه بالإسلام أن يستخدمه مشجباً يعلق عليه أفكاره ومبادئه وأهدافه ووسائله.

يقول عفلق في ص 119:

[والفهم السطحي هو أن نستنتج بسرعة بأنه ما دام مظهر الدين في هذا الوقت وما دام ممثلو الدين الرسميون هم في صف الواقع الفاسد وليس في صف الثورة على الفساد فإذاً الدين من أساسه فاسد ولا وجوب له ولا خير فيه ولذلك يجب التخلص من الدين لأنه سلاح بيد الظالمين والمفسدين هذه هي النظرة السطحية والاستنتاج الخاطئ جداً وهذه هي النظرة التي

توقفت عندها الشيوعية، ولذلك فالشيوعية ليست عميقة في كل نواحيها ولو أنها في كثير من نواحيها جد عميقة].

وفي مقاله "نظرتنا إلى الدين" تحدث عن كثير من المواقف التكتيكية إزاء الدين، فكان مما قال في ص 121 وص 122:

[ونحن لا نرضى عن الإلحاد ولا نشجع الإلحاد ونعتبره موقفًا زائفًا في الحياة موقفًا باطلاً ضارًا وكاذبًا، إذ أن الحياة معناها الإيمان والملحد كاذب إنه يقول شيئًا ويعتقد شيئًا آخر، إنه مؤمن بشيء مؤمن ببعض القيم ولكننا ننظر للإلحاد كظاهرة مرضية يجب أن تعرف أسبابها لتداوى، ولا ننظر إليه كشر يجب أن يعاقب، لأن ذلك لا يخفف الإلحاد بل يزيده.. قلت بأن الإلحاد موقف كاذب وهذا يعني أن الملحد إنسان متناقض يدعي شيئًا ويعمل خلافه، فالثورة على الدين في أوروبا هي دين هي إيمان بمثل وقيم إنسانية رفيعة].

ومن هذا المقال يتبين لنا ما يلي:

1- أن مراده بالإلحاد هو إنكار وجود الله وعلى ذلك فالبعث يؤمن بوجود الله سبحانه وأنه هو الخالق المدبر للكون - هذا على أحسن التأويلات. ومن المعلوم أن هذا الإيمان لا ينفع صاحبه في شيء، فقد كان كفار الجاهلية الأولى يعلمون ذلك كما قال الله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾.

2- أن حقيقة الدين تتمثل في الإيمان بالمثل والقيم الإنسانية الرفيعة ليس غير، وعلى ذلك فإذا تدين الإنسان بالعلمانية أو البعثية وهو يحمل قيمها ومثلها فهو مؤمن بدين، ولذلك قال عفلق بأن الثورة على الدين في أوروبا هي دين وإيمان.

ولأن الماركسية لا تقيم اعتبارًا للقيم والروحانيات والمثل فهي ملحدة. وأما البعثية في نظرهم فمؤمنة لأنها اعتبرت منزلة القيم والروحانيات وجعلتها هي الدين، وسوف يأتي توضيح ذلك بشكل جلي:

ويتحدث عفلق في موضع آخر من كتابه عن ما أسماه «المشكلة الدينية في المجتمع العربي الحديث» ويبين أن هذه المشكلة من أخطر المشكلات ولذلك فليس من المعقول أن يتجاهلها الحزب لأنه يوقن بأن الدين عند العرب شيء أساسي وغير عارض وأنه يمتلك في حس العرب تاريخًا طويلاً وأثرًا بعيدًا ولذلك أوجدوا له الحلول المفيدة بحيث لا يصطدم الحزب بالدين الإسلامي فيخسر كما خسرت الأحزاب الماركسية.

يقول ميشيل عفلق في ص 125-127:

[المشكلة الدينية هي بلا شك من أبرز المشكلات المجتمع العربي الحديث لذلك لا يعقل أن يتجاهلها حزبا وأن يتهرب من إيجاد الحلول لها - إلى أن قال مجيئاً على تساؤله: هل الدين شيء ثانوي؟ - إن الحزب لا يرى هذا، بل يرى أن الدين تعبير صادق عن إنسانية الإنسان وأنه يمكن أن يتطور ويتبدل في أشكاله وأن يتقدم أو يتأخر ولكنه لا يمكن أن يزول.

إذن فالدين في صميم القضية العربية والمواطن العربي الذي نعمل لتكوينه.. فنحن منذ بدء حركتنا نظرنا إلى الشيوعية كشيء خطير وجدي وجدير بأن يعتبر وبالرغم من كل النواحي الإيجابية الخطيرة التي أتت بها فلسفة ماركس فقد اعتبرناها ناقصة لأنها لم تعبر عن كامل الحقيقة بل أخفت بعض نواحيها.. فالماركسية تقوم على أساس نفي وإنكار كل معتقد يتجاوز الطبيعة والمادة والأشياء المحسوسة كما هو معروف، وليس هذا في الماركسية نتيجة عجز عن الفهم كلا بل له دافع عملي - إلى أن قال - لذلك رأت الماركسية أن تنسفه نسفاً، فالدافع إذن دافع

عملي وليس عجزًا عن فهم أهمية الدين وحقيقته، ولكننا نحن لا نقر هذا الدافع على ما فيه من واقعية، إذ أنه ينبئ عن ضعف ثقة بالإنسان بأنه لا يحتمل هضم الحقيقة الكاملة، فنحن مع تبيننا للنظرة السلبية إلى الدين أي رغم معرفتنا الطريقة الرجعية التي استخدم الدين بها ليكون داعيًا للظلم والتأخر والعبودية، نشق رغم ذلك بأن الإنسان يستطيع أن يثور على هذه الكيفية في استخدام الدين.

ونحن لا نجهل بأن نظرتنا هذه تتطلب من الجهد والحذر أضعاف ما تتطلبه النظرة الشيوعية التي تخلصت من المشكلة بأن رفضتها تمامًا وألقته جانبًا أما نحن فلمشكلة بالنسبة لنا أعقد بكثير لأننا كما قلنا في مرحلة الانقلاب العميق الجذور في كل الأمور الأساسية التي تركز عليها حياة العرب والتي يؤلف الدين جزءًا منها].

هذا هو الفرق التكتيكي بين حزب البعث والأحزاب الشيوعية في البلدان العربية الإسلامية.

وبهذه الإستراتيجية يطمع حزب البعث أن يصل إلى الشعوب العربية المسلمة دون أن يصطدم بها مباشرة، ليتمكن بعدئذ من مسح صورة الإسلام من أذهانهم ومن واقعهم. وسوف نرى بعد قليل ما هو الإسلام الذي يريده حزب البعث وما تصوره الحقيقي للإسلام.

1- يعتبر البعثيون الإسلام فترة من فترات القومية العربية ومرحلة من مراحل تعبيرها عن نفسها وأنه ليس سوى نبتة ظهرت في التربة القومية لتكون مشخصة لآمال وآلام العروبة.

يقول عفلق في ص 106: [هذه الأمة التي أفصححت عن نفسها وعن شعورها بالحياة إفصاحًا متعددًا متنوعًا في تشريع حمو رابي وشعر الجاهلية ودين محمد وثقافة عصر المأمون].

ويقول في ص 107: [لقد أفصح الدين في الماضي عن الرسالة العربية التي تقوم على مبادئ إنسانية].

ويقول في ص 138 و 139 مؤكداً أن القومية هي التربة التي نبتت فيها مواهب العرب والتي منها الدين:

[إن في مقارنة القومية بالدين والتقاليد والفن مثلاً ما ينم عن إخلال بدقة التفكير، وفهم جزئي للقومية كأنها شيء مستقل عن الدين والتقاليد والفن مع أنها التربة التي تنمو فيها مواهب أمة ما في كل الميادين - إلى أن يقول - فالإسلام في حقيقته الصافية نشأ في قلب العروبة وأفصح عن عبقريتها أحسن إفصاح وسائر تاريخها وامتزج به في أجد أدوراه فلا يمكن أن يكون ثمة اصطدام.

- ثم يعقب على ذلك بقوله - إن القومية العربية ليست نظرية ولكنها مبعث النظريات ولا هي وليدة الفكر بل مرضعته].

وفي خطاب ألقاه عفلق في يوم ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم بعنوان "ذكرى الرسول العربي". وضع تصوره البعشي العلماني للإسلام.

فكان مما قال [حياة الرسول خلاصة حياة العرب: إن حياة الرسول هي ممثلة للنفس العربية في حقيقتها المطلقة لا يمكن أن تعرف بالذهن بل بالتجربة الحية] ص 143.

أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس سوى شخصية عربية فذة وعبقرية وقومية متميزة، ولهذا كانت كلمة عفلق الشهيرة [كان محمد كل العرب فليكن كل العرب اليوم محمداً] ص 144 تعبيراً عن الفهم القومي العلماني للنبوة والرسالة وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد التزم حزب البعث بهذا الفهم للدين الإسلامي واستخدمه في سبيل نشر عقيدته الكافرة، فهذا هو عفلق لا يفاء يردد أن الإسلام ليس سوى حركة قومية وحادث قومي.

يقول في ص 116 [في حياتنا القومية حادث خطير وهو حادث ظهور العروبة وتكاملها].

ويقول تحت عنوان إنسانية الإسلام ص 145:

[فرسالة الإسلام إنما هي خلق إنسانية عربية إن العرب ينفردون دون سائر الأمم بهذه الخاصة: إن يقظتهم القومية اقترنت برسالة دينية أو بالأحرى كانت هذه الرسالة مفصحة عن تلك اليقظة القومية].

ويقول في ص 150:

[أيها السادة إننا نحتفل بذكرى بطل العروبة والإسلام، وما الإسلام إلا وليد الآلام، آلام العروبة، وإن هذه الآلام قد عادت إلى أرض العرب بدرجة من القسوة والعمق لم يعرفها عرب الجاهلية فما أحرأها بأن تبعث فينا اليوم ثورة مطهرة مقومة كالتى حمل الإسلام لواءها - إلى أن قال - نحن الجيل العربي الجديد نحمل رسالة لا سياسة إيماناً وعقيدة لا نظريات وأقوال، ولا تخيفنا تلك الفئة الشعبوية المدعومة بسلاح الأجنبي المدفوعة بالحقد العنصري على العروبة، لأن الله والطبيعة والتاريخ معنا - ثم أضاف قائلاً - قد لا نرى نصلي مع المصلين أو نصوم مع الصائمين ولكننا نؤمن بالله لأننا في حاجة ملحة وفقر إليه عصب].

أي دين هذا الذي ينادي به البعث إنه الدين القومي إنه القومية العربية في ثوب ديانة وإيمان، ومع كل هذا التلبس الذي يثته البعث باسم الدين فإنه يصر على المفهوم العلماني للدين.



2- يعتقد البعثيون أن الإسلام مجرد قيم روحية وإيمان وجداني وشعور نفسي ومثل عالية. وأنه يكفي الإنسان أن يؤمن بوجود الله، وأن تكون علاقته بالله علاقة فردية كأنه يصلي إذا أراد أو يصوم أو يحج. أما أن يكون الإسلام حاكمًا لحياة الناس وشؤونهم فتلك الجريمة الكبرى والرجعية والتخلف والظلامية. هذا هو الإسلام في نظر البعثين وهذا هو معنى كونهم يحاربون الإلحاد ويدافعون عن الدين ويتصفون بالإيمان.

يقول ميشيل عفلق في مقال بعنوان: "قضية الدين في البعث العربي" [على المناضل البعثي عندما يحارب الرجعية ويصمد أمام هجماتها وافتراءاتها وتهيجاتها وإثاراتها أن يتذكر دومًا أنه مؤمن بالقيم الإيجابية والقيم الروحية] ص 129.

ويقول تحت عنوان: "الدين في البعث العربي" ص 173:

[لقد ظهر البعث العربي في حياة العرب الحديثة وسط الجمود والجحود والنفعية والانحلال حركة إيمان عميق تستقطب النفوس النقية السليمة وتجذب الإرادات القوية الصادقة وتجمع حولها الأفراد المشبعين بحب الأمة العربية المؤمنين بعظمتها - إلى أن قال - فنشوء البعث العربي إنما هو دليل ساطع على الإيمان وتوكيد للقيم الروحية التي ينبع منها الدين].

ثم يضيف في ص 174 قائلاً:

[وقد دعا البعث العربي إلى مفهوم جديد للحياة القومية والحياة بصورة عامة، قوامه الإيمان بالقيم الروحية الإنسانية وبقيمة الروح العربية الأصلية - إلى أن يقول - والبعث العربي الذي هو حركة إيجابية لا يمكن أن يفترق عن الدين أو يصطدم معه ولكنه يفترق عن الجمود والنفعية والنفاق].

[البعث العربي حركة قومية تتوجه إلى العرب كافة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وتقدس حرية الاعتقاد وتنظر إلى الأديان نظرة مساواة في التقديس والاحترام، ولكنها ترى إلى جانب ذلك في الإسلام ناحية قومية لها مكانتها الخطيرة في تكوين التاريخ العربي والقومية العربية وتعتبر هذه الناحية ذات صلة وثيقة بتراث العرب الروحي وبمميزات عبقريتهم - إلى أن قال - فالإسلام من حيث هو دين صرف مساو لغيره من الأديان في الدولة العربية التي تساوي بين جميع مواطنيها وتحترم حرية معتقداتهم، والإسلام من حيث هو حركة روحية امتزجت بتاريخ العرب واصطبغت بعبقريتهم وأتاحت ظهور نهضتهم الكبرى له مكانة خاصة في روح القومية العربية وثقافتها وحركة انبعاثها - ثم يقول واصفًا الدولة في البعث العربي - إن هذه الدولة هي نقيض الإلحاد والفساد وكل ما هو سلبى هدام وعلمانية الدولة بهذا المعنى ليست إلا إمعانًا في الحرص على اتجاهها الروحي والأخلاقي - إلى أن يقول - وما دام أن الدين منبعًا فياضًا للروح فالعلمانية التي نطلبها للدولة هي التي بتحريرها الدين من ظروف السياسة وملابساتها تسمح له بأن ينطلق في مجاله الحر في حياة الأفراد والمجتمع وبأن تبعث فيه روحه العميقة الأصيلة التي هي شرط من شروط بعث الأمة] ص 174 - 176.

ويؤكد في موضع آخر على أن الدين مجرد قيم روحية وأن العلمانية هي الحاكمة وأنه بهذا المعنى يرتفع التناقض والتعارض فيقول في ص 192:

[وكان التفكير السطحي قبل ظهور حركتنا يوحى أو يوهم بوجود التضاد بين القومية وبين هذا التراث الروحي بحجة الحرص على العلمانية، ولكن وجدنا أن لا تعارض بين العلمانية وبين الاعتراف بما يغذي روح حضارتنا من تجارب ماضي شعبنا الغنية، فكانت هذه النظرة الجديدة إلى تراثنا القومي نظرة حية واقعية عميقة أرجعت إلى نفوس الشباب الاستقرار الذي فقدوه زمنًا وصالحتهم مع ماضي أمتهم دون أن تجردهم في هذا الماضي].

هذا الأسلوب التوفيقي بين الكفر والإسلام والإلحاد والإيمان والعلمانية والدين، أسلوب قدّم ذكره الله في القرآن الكريم عند وصف المنافقين وموقفهم إزاء التحاكم إلى ما أنزل الله. قال الله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحفلون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً. أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظّمهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً. فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾.

3- يأخذ البعثيون من الإسلام ما يخدم عقيدتهم ويعين على نشرها بين المسلمين. تماماً كما فعلت حركات الزندقة المعاصرة كالكاديانية والبهائية، فبالإضافة إلى اعتقادهم أن الإسلام ليس سوى تعبير قومي عن آمال العروبة وأنه لا يتعدى أن يكون فترة من فترات القومية العربية، وأنه قدم خدمات جليلة للقومية العربية بحفظ لسانها ولغتها من خلال القرآن الذي يرون فيه كتاباً روحياً ولغوياً فقط.

أقول بالإضافة إلى هذا فهم يرون أن في الإسلام قوة ضد الظلم والانحراف يمكن أن تستخدم هذه القوة في تأجيج الروح الثورية عند البعثيين أنفسهم وعند عموم المسلمين، فهم من هذه الزاوية يعتبرون الإسلام قوة ثورية ونضالية وفق مفهومهم للثورة والانقلاب والنضال، ووفق مخططهم الساعي لاستخدام الإسلام في بث شعور الحماس والفاعلية في أوساط الناس.

وفي ذلك يقول مؤسس حزب البعث تحت عنوان "نظرتنا إلى الدين" في ص 117:

[هل يفكر الشباب أن الإسلام عند ظهوره هو حركة ثورية ثائرة على أشياء كانت موجودة معتقدات وتقاليد ومصالح؟ وبالتالي هل يفكرون بأنه لا يفهم الإسلام حق الفهم إلا الثوريون؟ وهذا شيء طبيعي لأن حالة الثورة هي حالة واحدة لا تتجزأ وهي حالة خالدة لا تتبدل فالثورة قبل ألف سنة وقبل ألفي سنة وقبل خمسة آلاف سنة والآن وبعد ألوف السنين الثورة واحدة - إلى أن قال - إن المدافعين الظاهرين عن الإسلام الذين يتظاهرون بالغيرة أكثر من غيرهم وبال دفاع عن الإسلام هم أبعد العناصر عن الثورة في مرحلتنا الحاضرة لذلك لا يعقل أن يكونوا فهموا الإسلام ولذلك من الطبيعي جداً وتحسناً وتجاوباً هو الجيل الثوري].

ثم يتحدث عن المسلمين الأوائل باعتبارهم من المناضلين والثائرين وأنهم لو رجعوا لما كانوا إلا مع البعثيين الثائرين المناضلين المسجونين فيقول في ص 119:

[إن اعتقدنا بأن المسلمين الأولين لو رجعوا اليوم لما استطابوا العيش إلا في القرى المظلمة البائسة مع المظلومين والمستعبدين إلا في السجون مع المناضلين].

وعند حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم والدين القويم الذي جاء به يستخلص من كل الوحي المبارك عقيدة وشريعة، ما يتناسب مع تطلعات حزب البعث فيقول في ص 150:

[إننا نحتفل بذكرى بطل العروبة والإسلام وما الإسلام إلا وليد الآلام آلام العروبة، وأن هذه الآلام قد عادت إلى أرض العرب بدرجة من القسوة والعمق كالتى حمل الإسلام لواءها].

ثم يحدد عفلق بصراحة أوضح مما سبق ما الذي يأخذه حزب البعث من الإسلام فيقول

ص 175:

[وبهذا المعنى تستلهم حركة البعث العربي من الإسلام وثورته على القيم الاصطلاحية - إلى أن يقول - والبعث العربي أخيراً يستمد من حركة الإسلام الخالدة قوة الصبر والمقاومة لتيار الواقع المريض] ويقول صدام حسين: [إننا لا نختلف من الدينين في أن الدين قد يصلح كعدة معارضة وسلاح ضد الطغاة والمستبدين والفاستدين من الحكام في مرحلة من مراحل الحياة وفي ظرف من ظروفها] أمير اسكندر 324. ولكن لا يظن البعثيون أن الإسلام فقط هو المحرك للثورة يستدرك عفلق ويبين أن الإيمان القومي هو المحرك الحقيقي للثورة وإن كان يستلهم من الإسلام معنًا ثوريًا نضاليًا فيقول في ص 286:

[فإذا نظرنا إلى العرب في الماضي وجدنا أن هذا المحرك الأساسي كان في وقت ما عند ظهور الإسلام هو الدين فقد قدر وحده على استثارة كوامن القوى في النفس العربية واستطاع أن يحقق الوحدة والتضامن وأن يلهب النفوس ويفتح القرائح - إلى أن قال - أما اليوم فإن المحرك الأساسي للعرب في هذه المرحلة من حياتهم هو القومية التي هي كلمة السر التي تستطيع وحدها أن تحرك أوتار قلوبهم وتنفذ إلى أعماق نفوسهم وتتجاوب مع حاجاتهم الحقيقية الأصلية - إلى أن قال - وكما استجابوا في الماضي لنداء الدين فاستطاعوا أن يحققوا الإصلاح الاجتماعي فإنهم يستطيعون اليوم تحقيق العدالة الاجتماعية للمساواة بين المواطنين وضمان الحرية بين العرب جميعًا نتيجة للإيمان القومي وحده].

وهو بهذا الاستدراك يحفظ حزبه من الانحدار إلى الرجعية الإسلامية كما يسميها والتي تتمثل في الحركات الإسلامية المنادية بتطبيق شرع الله والجهاد في سبيل الله، يقول في ص 127:

[نحن نعتبر الرجعية الدينية تؤلف مع الرجعية الاجتماعية معسكرًا واحدًا يدافع عن مصالح واحدة وأنها أكبر خطر يهدد الدين، إن الرجعية التي تحمل لواء الدين في يومنا هذا وتناجر به وتستغله وتحارب كل تحرر باسمه وتدخله في كل صغيرة وكبيرة لكي تعيق الانطلاقة

الجديدة هي أكبر خطر على الدين وهي التي تهدم مجتمعنا وتشوّهه، فلو لم نكن نحن ولو لم تكن حركتنا موجودة لتهدد المجتمع العربي بأن يشوّهه الإلحاد، إذ أننا بمقاومتنا الرجعية الدينية بدون اعتدال وبدون مسايرة وبمواقفنا الجريئة المؤمنة منها ننقذ مجتمعنا العربي من تشويه الإلحاد].

«قتل الخراصون» ولعن المنافقون.

قال تعالى ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون. وإذا قيل لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون. وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون. الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾.

ويتفق منيف الرزاز وسائر البعثيين مع كل هذه الأطروحات التي أصلها لهم عفلق، فيقول الرزاز في 258/3 عن كيفية تعامل البعث مع القوى الفكرية فيقول:

[لقد تمكن البعث لا من استيعاب ردود الفعل الأخرى فحسب بل من تجاوزها تجاوزًا نوعيًا فأمن بالقومية ولم يؤمن بالتعصب القومي العرقي وآمن بالقومية طريقًا إلى الإنسانية والأمية الحقة وآمن بالقومية المتبينة لتراثها الإسلامي الثوري].

ويعتبر الرزاز القومية العربية هي الإطار الذي يمكن أن يجمع العرب فإذا تدخل الدين الإسلامي في حياتهم وأرادوا الاجتماع عليه فسوف يحصل لهم من الشتات والفرقة ما حصل

لغيرهم، ويضرب مثلاً بالهند التي حكمها الاستعمار البريطاني ولما أرادت الاستقلال عنه انفصل عنها المسلمون في باكستان فيقول في 134/3:

[الهند مثلاً التي حكمها الاستعمار البريطاني بحكومة مركزية تمكنت من المحافظة على وحدتها بعد الاستقلال، بالقدر الذي خاضت فيه معركة الاستقلال بقوة مناضلة موحدة، فتجاوزت بذلك كل فروق اللغة والدين والعرق التي تفصل بين شعوبها المختلفة، ولأن بعض مسلمي الهند لم يخوضوا هذه المعركة متحدّين مع القوى الهندية المناضلة انفصلوا في باكستانهم].

وعلى الرغم مما في هذا الكلام من مغالطة تتعلق بجهد المسلمين في الهند إلا أنك تجد فيه انفصال الانتماء الإسلامي من حس البعثي إلى حد يرضي فيه أن يحكم المسلم بحكومة وثنية كافرة، ذلك لا يهم البعثي فموازين الكفر والإيمان قد سقطت من نفسه منذ أن أصبح يردد مع شاعرهم:

آمنت بالبعث ربّاً لا شريك له وبالعبودية ديناً ما له ثاني

ولا بأس أن استطرّدنا هنا بعض الشيء لمعرفة إسلام البعثيين الذين يزعمون.

يقول الرزاز في 236/3 [هناك ثنائية إسلامية فيها إله وفيها بشر هذا هو الأساس حتى عندما كانت الآلهة في الحضارات الأولى متعددة كان هناك دائماً إله، إله يسيطر على بقية الآلهة ليكون كما يسميه فلاسفة العرب علة العلل.

فإذا كان هناك جملة علل فلا بد أن هناك علة العلل هذا المنزوع هذه النظرة في الدين وكأن هناك إلهاً في السماء وهناك بشراً على الأرض، هذا النزوع ترجم نفسه أن نزوع التوحيد مستمر وقائم وممتد على مدى التاريخ، اختاتون في مصر كان أول من طرح التوحيد، وحين

كانت الآلهة متعددة في شرق الوطن العربي وأيضًا في الجزء الإفريقي ممثلًا بالفينيقيين كان هناك دائمًا إله الآلهة الذي كان يسمى بعل أو أيل، وأيل وتطورت لتصبح إله، وأيل الله].

هذا قول زعيم البعث الثاني وقائده وأمنيه العام.

سبحان ربي الأعلى سبحان ربي العظيم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، ولعنة الله على الكافرين والمنافقين.

وهذا نموذج ثاني يدل على مدى صلتهم بالإسلام ومعرفتهم به.

يذكر سامي الجندي في كتابه البعث ص 27 وص 28:

شيئًا من مواقف أستاذه زكي الارسوزي البعثي النصيري فيقول:

[كنا مثاليين نقيم علاقة المجتمع على الحب وكان الأستاذ يتحدث كثيرًا عن المسيح وأظنه تأثر كثيرًا بكتاب نتشه منشأ التراجيديا اليونانية يرى الجاهلية مثله الأعلى، يسميها المرحلة العربية الذهبية.. بل ذهب إلى أبعد فتبنى ما كان جاهليًا في الإسلام فقط، كان إنسان الرفض ورفضنا معه.

ناقشته سنة 1945م بالقرآن فعاب علي نزعتي قائلًا أنت راهب في ثياب ثوري، اعترضت قائلًا: إن الإيمان بالأفكار ديني الملامح فأجاب: إن الثورة نفسها إيمان صوفي.

وجدت في الحديث إلى أنه لم يقرأ حتى القرآن قراءة جدية، حتى إذا فعل فيما بعد تبدل كثير من أفكاره، وقد لا يعلم كثيرون أنه بدأ يدرس العربية سنة 1940م كان يفضل الحديث قبل ذلك بالفرنسية] نقلًا عن كتاب: الحركات القومية في ميزان الإسلام ص 77.



وهذا الارسوزي أحد المؤسسين لحزب البعث كما مر فماذا ينتظر من حزب قومي مؤسسه لا يعرف العربية بل ويفضل الحديث بالفرنسية على العربية.

ولا يعرف القرآن ويعرف الإنجيل ويمجد الجاهلية وكل ما كان جاهليًا.

ونعود إلى ميشيل عفلق وتصوراتهِ العلمانية البعثية للإسلام، ونراه يتحدث عن معنى عموم الإسلام وخلوده ويستخدم هذه العبارات ليحاول بها هدم الإسلام وزعزعة ثوابته فيقول في ص 146:

[الإسلام عام وخالد ولكن عموميته لا تعني أنه يتسع في وقت واحد لشتى المعاني والاتجاهات.. وخلوده لا يعني أنه جامد لا يطرأ عليه تغير أو تبدل].

وعندما خاطب عفلق إخوانه من نصارى لبنان في شأن القومية العربية بين لهم خطأ ظنهم أن العروبة مرادفة للإسلام فقال ص 181: [وواجبنا أن نشرح للبنانيين الانعزاليين بأن العروبة التي نعمل لها تمنع الضغط الديني وسيطرة طائفة دينية على أخرى، إنهم يتهربون من العروبة وهي مرادفة في نظرهم للإسلام].

ثم يوضح الموقف البعثي من هذه المسألة فيقول في ص 188:

[والعرب اليوم لا يريدون أن تكون قوميتهم دينية لأن الدين له مجال آخر وليس الرابط للأمة بل هو على العكس قد يفرق بين القوم الواحد وقد يورث - حتى ولو هناك فروق أساسية بين الأديان - نظرة متعصبة وغير واقعية]. فما دام ذلك هو رأي البعث فلماذا يتمسحون باسم الإسلام ويرددونه ويذكرونه في كتبهم ومقالاتهم؟ ولماذا يصرون على أنهم من المسلمين ويعلمون بعد وفاة المؤسس النصراني أنه أسلم وتسمى أبي عبد الله.

الجواب: يتلخص في أنهم يستخدمون تكتيكًا نفاقًا ليلجوا بزندقتهم إلى أغوار المسلمين، وهذا ما قاله ميشيل عفلق في ص 128:

[إن جمهور شعبنا ما زال متأخرًا وما زال خاضعًا لمؤثرات رجال الدين من شتى المذاهب والطوائف، فلو أننا ذهبنا إلى جمهور الشعب وليس لنا غنى عنه، إذ بدونه لا نستطيع أن نحقق أي تعديل أساسي في الحياة العربية، لو ذهبنا إليه بأفكار فجّة وبأساليب غير محكمة وتصرفنا تصرفات هي أقرب إلى ردود الفعل والنزق والمرض النفسي منها إلى الإيمان بحركة منقذة فأخذنا نطعن بالدين ونتبحر بالكفر ونتحدى شعور الشعب فيما يعتبره مقدسًا وثميناً نكون بدون فائدة وبدون أي مقابل أغلقنا أبواب الشعب في وجه الدعوة وأوجدنا ستارًا كثيفًا بيننا وبينه حتى لا يعود قابلاً أو مستعداً لأن يسمع منا شيئاً أو أن يسايرنا في نضالنا ودعوتنا].

فهل بعد هذا النفاق من نفاق؟

إنها لنتيجة طبيعية أن يقول نصراني تربى على أفكار ماركس ولينين هذا القول، وثمرّة حقيقية للشجرة التي خبثت جذورها وفروعها، وما عليك أيها المسلم الفخور بدينه إلا أن تنظر إلى أسماء مؤسس هذا الحزب وكبار شخصياته لتجد أكثرهم نصارى أو دروز أو نصيرين.

فمن النصارى ميشيل عفلق، وجبران مجدلاي، وطارق حنا عزيز. ومن النصيرين زكي الارسوزي، وصلاح جديد، ومحمد عمران، وحافظ أسد، وإبراهيم ماخوس، وسليمان العيسى، وهذا الأخير شاعر حدّثي شهير تجدون ترجمته وأخباره في ملاحقنا الأدبية، قالت عنه موسوعة السياسة ذات النهج البعثي في 232/3 [شاعر قومي ومناضل عربي ولد في لواء الاسكندرونة كان زميلاً للسياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي، التقى بالمفكر العربي القومي زكي

الارسوزي فتتلمذ عليه وتلقى عنه نظريته في العروبة التي اكتملت بنضاله في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي حتى أطلق عليه شاعر البعث.. بلغت دواوينه الشعرية أكثر من خمسة عشر ديواناً].

ومن الدروز شبلي العيسمي، وحمود الشوفي ومنصور الأطرش وسليم حاطوم وهذا الأخير كان يقود جيش سوريا وأخوه في الطرف الآخر كان من قواد الجيش اليهودي الصهيوني. ومن الإسماعيلية سامي الجندي الذي أعلن تسننه.

فماذا يرجى من هذا الحزب مع هذه التشكيلة المتنافرة التي اجتمعت بالرغم من تباين عقائدها لتكون حرباً على الإسلام باسم العروبة والقومية الاشتراكية.

انظر ما كتبه البعثيون عن التكتل الطائفي في حزب البعث وأثره على توجيه أفكاره وأعماله، في كتابات منيف الرزاز 158/2 - 160 وفي تقرير المؤتمر القومي التاسع ص 68 نقلاً عن كتاب الحركات القومية في ميزان الإسلام ص 79.

وماذا يرجى من حزب نشأت دولته في العراق على يد الأمريكان والإنجليز كما ذكر ذلك وزير الدفاع السابق حردان التكريتي في مذكراته التي كتبها قبل أن يقتله صدام حسين.

حيث ذكر أنه قبل قيام ثورة البعث في العراق كانت هناك صلة بالأمريكان والبريطانيين في القاهرة وبيروت من خلال صدام حسين الذي نسق الانقلاب البعثي مع السفارات في القاهرة وبيروت في الوقت الذي كان فيه أحمد حسن البكر ينسق مع السفارة الأمريكية والبريطانية في بغداد.

أما الاتصال بالعدو الصهيوني فقد ذكره سامي الجندي في كتابه "البعث" من ص 158 - 159 حيث كان الجندي سفيراً في فرنسا، وكان النصيري إبراهيم ماحوس وزيراً للخارجية

آنذاك هو الذي أجرى اللقاء من جهة حزب البعث وجرى في هذه الاتصالات - كما يقول الجندي في كتابه كسرة خبز ص 14- 18 جرى الاتفاق على أن يتم تسليم الجولان لإسرائيل مقابل أن تتراجع إسرائيل عن احتلال دمشق.

وقد نقلت مجلة المجتمع قصة الاتصالات هذه في المجلد الثالث عشر ص 16.

وفي ختام هذا البحث عن حزب البعث أو أن أختصر بعض فقرات من مقررات المؤتمر البعثي الذي عقد إبان القتال بين العراق وإيران والذي أخرج في كتاب وكان آخر فصوله بعنوان: المسألة الدينية وهو الفصل السادس من ص 264 - ص 302 وفيه خلاصة أفكار البعث إزاء الدين الإسلامي، وتأتي مكانة هذه المقررات البعثية من كونها رأياً جماعياً لحزب البعث المتمثل في القيادة القومية - أي القيادة على مستوى العالم العربي - وقد ذكر أسماء هذه القيادة فؤاد مطر في كتابه صدام حسين الرجل القضية والمستقبل ص 215 وهم:

صدام حسين وطه ياسين رمضان ونعيم حداد وطارق حنا عزيز وعزت إبراهيم من العراق وشليبي العيسمي من سوريا وعلي غنام من السعودية وعبد المجيد الرافعي ويدور الحديث في هذا الفصل على المباحث التالية:

\* اتساع النشاط الديني داخل العراق وموقف حزب البعث منه.

\* الحزب يستلهم من الإسلام معانيه الروحية والثورية.

\* الحركات الدينية والقومية العربية.

\* لماذا الظاهرة الدينية في المنطقة الآن.

\* سيادة الظاهرة الدينية تؤدي إلى التدمير.

\* التجربة الإيرانية.

\* الظاهرة الدينية السياسية في العراق والموقف منها.

\* خطورة الالتزام الديني على أعضاء حزب البعث.

يصر حزب البعث على النفاق والتدليس فيقول ص 624:

[إن حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب الاشتراكي والثوري الوحيد ليس في الوطن العربي فحسب وإنما في المنطقة أيضًا الذي أعطى المسألة الدينية اهتمامًا بارزًا في عقيدته وفي سلوكه السياسي والاجتماعي ومنذ البدء حدد الحزب موقفه من الدين وكما قال الرفيق صدام حسين "إننا لسنا حياديين بين الإيمان والإلحاد إننا مؤمنون" ].

ثم يؤكد الحزب أنه إنما يأخذ من الإسلام ثورته فيقول في ص 256:

[وقد وضع الحزب للإسلام قيمة أساسية في فكره وفي الحياة العربية عبر التاريخ وفي العصر الراهن، والحزب يعتبر الإسلام ثورة عظمى في التاريخ الإنساني].

ثم وصف الحزب الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة أنهم ثوار عظماء ثم أضاف بعد ذلك قائلاً في ص 266:

[غير أن الحزب لم يدع إلى بناء دولة على الطراز الديني وإنما دعا إلى بناء دولة على أساس الرابطة الوطنية في إطار القطر الواحد وعلى أساس الرابطة القومية في إطار الوطن العربي الكبير تستلهم الإسلام كرسالة وثورة، واعتبر الإسلام جوهرًا أساسيًا في القومية العربية] وهذه هي اللادينية التي تسمى علمانية.

ثم تعرض الحزب للحركات الإسلامية واعتبرها سبباً لتفتيت الوحدة العربية ثم ذكر صراعها الشديد مع البعث وعبد الناصر غير أنها نالت شعبية واسعة على أساس غير واع من الجماهير، وفي هذا دليل واضح على العداء الذي يكنه الحزب للحركات الإسلامية التي تعتبر غرة جبين الأمة الإسلامية في واقعنا المعاصر. ثم ذكر أن سبب وجود ظاهرة الحركات الإسلامية هو الابتعاد عن الحياة الروحية والغرق في الماديات الرأسمالية مما حدا بالناس إلى التطلع نحو السماء وخصوصاً الذي لا تتوافر لديهم القدرات الإبداعية ثم انتقل للحديث عن القومية العربية وأن مبررات وجودها مبررات قوية موضوعية ونفسية وتاريخية، وأن الحركة القومية حركة أصيلة ودورها فعال ومؤثر وإيجابي ونافع، وإنها بهذه الصفات اكتسحت الحركات الإسلامية ثم قدم تبريراته الباهتة عن هزيمة حزيران وفشل الوحدة بين سوريا ومصر والانفصال بين البعثيين في سوريا والعراق ثم أشار إلى أن مد الحركات الإسلامية توسع بعد هذه النكسات فقال ص 272: [ومن هذا نجد أن نمو الظاهرة الدينية السياسية، لم يكن إذا صح التعبير نموًا طبيعيًا إيجابيًا يعبر عن حاجات أصيلة ويمتلك مبررات قوية وثابتة، وإنما كان رد فعل طبيعي سطحي على النكسة المؤقتة لحركة الثورة العربية وسدًا مؤقتًا لفراغ نشأ بسبب انحسارها المؤقت].

ثم يقول حزب البعث بعد ذلك في ص 273:

[إن الإيمان بالدين يوفر للإنسان طاقة روحية كبيرة تدفعه نحو النضال والتضحية غير أن العلة هي في تصميم قيادات هذه الحركات والأحزاب والتيارات على السيطرة على الحياة السياسية والوصول إلى السلطة ومحاولة ضبط كل شئون الحياة المعاصرة ومتطلباتها المعقدة بمقاييس دينية سلفية] أي أن الإسلام عند حزب البعث لا يعدو أن يكون شعائر عبادية وطاقة روحية كالنصرانية تمامًا، أنا أن يصبح دين الله حاكمًا موجهًا للحياة فذلك مرفوض تمامًا عند البعث الاشتراكي ثم أوضح التقرير أن الحركات الإسلامية وقفت في بعض الأحيان ضد الاستعمار

والمصالح الاستعمارية، وفي حالات أخرى كانت مواقفها لصالح المخططات الاستعمارية، رمتني بدائها وانسلت!!

فمن الذي قاتل اليهود في فلسطين والإنجليز في القتال إذن ومن الذي قاتل الروس في أفغانستان، ثم انظروا يا معشر البعثيين في مذكرات حردان التكريتي لتروا اتصال البعث بأمريكا وبريطانيا. ثم قال تقرير حزب البعث في شأن الصراع مع الصهيونية إن الحركة القومية قادرة على حشد كل العرب في مواجهة العدو بكل أديانه وطوائفه وأما الحركات الإسلامية خصوصًا والدين الإسلامي عمومًا فلا يستطيع ذلك وفي هذا كسب للصهيونية ثم أضاف قائلاً:

[هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى فإن توجيه العداء للصهيونية من منطلق ديني يساعد الصهيونية على استقطاب المزيد من الدعم والتأييد من البلدان الغربية المسيحية] ص 276 يا لها من حجة دامغة!!

وقد رأت الأمة كيف استطاعت القومية العربية بقيادة عبد الناصر أن تحشد القوى العربية ثم تلقي بإسرائيل في البحر.

ثم يعود التقرير مؤكِّدًا عقيدة البعث المناقفة التي تأخذ من الدين ما يوافق هواها فيقول في ص 287:

[إن الرسائل السماوية والحركات السياسية المعبرة عنها في صدر الرسائل كانت ثورية وتقدمية فكريًا وممارسة].

والسؤال الواجب طرحه لم لا يقول البعث إن الرسائل السماوية وآخرها الإسلام ناسخ جميع الأديان جاءت لهداية البشرية وهدم الوثنية وبكل أشكالها، لم لا يقول البعث إن الإسلام

جاء وبنى دولة القرآن الكريم في الواقع كما يبينها في النفوس وفي المجتمع كما في الفرد والاقتصاد كما في المسجد.

والجواب من تقرير حزب البعث نفسه حيث يقول في الصفحة نفسها:

[أما الظاهرة الدينية السياسية في العصر الراهن فإنها ظاهرة سلفية ومتخلفة في النظرة وفي الممارسة، وهي تأتي في عصر سمته الأساسية وشروط التقدم والقوة فيه هي العلم والتكنولوجيا، وخلق الثورة واستخدامها استخداماً كاملاً، وتوزيعها على أسس عادلة كما يرى الاشتراكيون لذلك فإن سيطرة الظاهرة الدينية السياسية السلفية والمتخلفة على المجتمعات العربية لا يمكن أن تحقق أي نتائج نوعية إيجابية على طريق التحرر والتقدم والاقتدار في مواجهة التحديات الاستعمارية والصهيونية وتحديات العصر الحديث وإنما تؤدي إلى تراجع الأمة ثقافياً وعلمياً وتقنياً، وإلى تدمير الثروة القومية بدلاً من خلقها وتطويرها].

وما من ذنب للحركات الإسلامية التي يهاجمها البعث بشراسة إلا أنها تقول ما قال الله ﴿إِن الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾. وتنادي بقوله صلى الله عليه وسلم "تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي".

وليس الغريب على مذهب فكري عقيدته العلمانية الكافرة ودينه الاشتراكية الجائرة أن يهاجم أهل الدعوة إلى الله والمجاهدين في سبيل الله المنادين بتطبيق شرعه في الحياة وخلق جميع الأنداد والطواغيت والبراءة منها.

أضف إلى ذلك أن هذه الحركات الإسلامية المباركة هي الوحيدة التي تستطيع كشف كفر ونفاق المذاهب الفكرية الهدامة بنور من وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.



ومن أجل ذلك جعل حزب البعث في مقدمة اهتماماته وطليلة نضالاته ومهماته محاربة هذه الحركات الإسلامية فيقول:

[إن النضال ضد انحرافات الظاهرة الدينية السياسية هو اليوم في مقدمة المهمات التي يتعين على حركة الثورة العربية خوضها وأن الذي لا يدرك هذه المهمة إما سطحي وعاجز عن التحليل العميق للأمور وبالتالي لا يصلح للقيادة، أو مشبوه ومتآمر يريد تقويض الكيانات العربية وتقسيمها بين الكتل الدولية والإبقاء على الاغتصاب الصهيوني لفلسطين إلى الأبد] ص 280.

إن هذا الموقف الذي يقفه حزب البعث من الحركات الإسلامية ويعتبر نتيجة طبيعة لأفكاره وعقائده الضالة المارقة وليس في ذلك عجب ولكن العجب ممن يقف موقف حزب البعث من الحركات الإسلامية ويصب عليها ما يستطيع من تهم وتشويهات وهو مسلم يؤمن بنفس ما تؤمن به هذه الحركات من مبادئ وأساليب وأهداف.

إن الذي يحارب الحركات الإسلامية ودعاة الإسلام وعلماءه ومجاهديه من المسلمين أيًا كان شخصه ومقصده فإنه في النهاية يصب نتيجة جهده وثمره عمله في إناء العلمانية والبعثية. واستطرد تقرير حزب البعث في شتائه واتهاماته للحركات الإسلامية وبين مدى العداء والخصومة بين حزب البعث والحركات الإسلامية وذكر أن من أسباب ذلك قدرة هذه الحركات على كسب جماهير الناس ضد حزب البعث واشتراكيته وعلمانيته.

ثم يعود حزب البعث يؤكد على طريقة عبد الله بن أبي سلول أنه مؤمن يحترم الدين، كما قال الله تعالى في وصف المنافقين ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

وبعد أن أكد البعث أنه مؤمن نكس على رأسه متخوفاً من الذين يمارسون الطقوس الدينية ويدعمون المؤسسات الدينية.

ويفرق بين الذين يؤدون الشعائر مثل الصلاة والحج والعمرة ويكتفون بذلك والذين يؤدونها وهم يعتقدون وجوب اتخاذ دين الله منهجاً للحياة ويظهر الحزب تخوفه من التستر بالطقوس الدينية.

ويعني ذلك بوضوح أن حزب البعث يريد أن يكون الإسلام لمن أراد أن يتمسك به مجرد شعائر تعبدية، مثل النصرانية فإذا تجاوز هذا الحد فيجب القضاء حتى على الشعائر.

يقول التقرير في هذا الصدد في ص 292:

[علينا أن نأخذ بالاعتبار حقيقة مهمة وهي أن الظاهرة الدينية السياسية تبقى من الظواهر الدائمة لأنها تنشأ وتترعرع في الأوساط الدينية وبين المواطنين المتدينين وتستخدم الأماكن الدينية كمراكز للنشاط وتستطيع في حالات كثيرة أن تغلف نشاطاتها السياسية التخريبية المعادية للحزب والثورة وأهدافها السياسية البعيدة في إطار الممارسات والطقوس الدينية، ولأن حزب البعث العربي الاشتراكي حزب مؤمن أصلاً، ولأنه يحترم الدين، والذين يمارسون الطقوس الدينية ويدعم رجال الدين والمؤسسات الدينية فسيكون دائماً من الصعب على أجهزة الحزب والدولة التمييز بين الذي يمارس الطقوس الدينية انطلاقاً من الإيمان بالدين، وبين الذي يتستر بهذه الطقوس لأغراض سياسية].

ولا يكفي حزب البعث في عدائه للإسلام بهذا الحد بل يعتبر الاتصالات التي تجري بين علماء المسلمين ودعاته - الذين يطلق عليهم رجال الدين أسوة بالنصارى - يعتبر هذه الاتصالات أمراً خطيراً وإن كان ظاهره أنه أمر طبيعي لكنه يجري في داخله التآمر والتخريب،

وهذا هو منطق فرعون عندما قال للناس محذراً من موسى عليه السلام: ﴿إني أخاف أن يُبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾.

يقول تقرير حزب البعث في ص 292:

[وبحكم العلاقات الطبيعية القائمة بين العالم الإسلامي فإن الاتصالات بين رجال الدين المسلمين في مختلف البلدان الإسلامية ومن مختلف المذاهب ظاهرة طبيعية، ومن الصعب التمييز بين العلاقات الطبيعية الشريفة وبين العلاقات التي تضم تحت غطاءها التآمر والتخريب].

ثم يختتم التقرير كلامه عن الظاهرة الدينية بتأثير هذه الظاهرة على أعضاء حزب البعث وكيف أن التدين الذي ابتدأ عند بعضهم بأداء الطقوس الدينية - على حد تعبيرهم - ثم انتقل بعد ذلك تدريجياً إلى التأثير على أفكارهم وتطبيقاتهم، مما أدى إلى فشو مرض التدين بين الحزبين وظهور البلبلة في عقائدهم وأعمالهم ومواقفهم.

يقول التقرير في ص 299 وص 300:

[إن بعض الحزبيين صاروا يمارسون الطقوس الدينية بصورة مذهبية، وشيئاً فشيئاً صارت المفاهيم الدينية تغلب على المفاهيم الحزبية عند معالجتهم للقضايا الأساسية في الفكر والتطبيق في شتى النواحي التي يواجهها الحزب في عملية التغيير الثوري الشاملة وصارت ظاهرة التدين تنتشر شيئاً فشيئاً وبصورة مفتعلة في ممارستها وفي صيرورتها في بعض الأوساط الحزبية بدافع تقليد الحزبيين الأعلى في المرتبة الحزبية، والظن بأن هذا الاتجاه مطلوب من القيادة وانسياقاً أيضاً مع الظواهر التي كانت تظهر في بعض الأوساط بنسبة معينة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل صار بعض الرفاق يضعون مسألة ممارسة الطقوس الدينية كمعايير للتقويم الحزبي].

إن هذا السلوك قد خلق حالات ضارة انعكست بصورة غير مباشرة على الظاهرة الدينية السياسية في القطر.

إن انتشار هذه الممارسات بنسبة معينة خلق حالة من البلبلة في صفوف الحزب ونشأ جدل بين الحزبيين حولها وصار بعضهم في حالة من الحيرة إزاء هذه المسألة، هل على الحزبي لكي يكون بعثيًا جيدًا أن يمارس الطقوس الدينية بصورة مفتعلة؟ أم أن ذلك ليس من شروط التكوين الجيد للحزبي؟ وغير ذلك من الأسئلة، كما أوجدت هذه الممارسات نوعًا من التصرفات الانتهازية لدى البعض من الذين صاروا يقومون بالممارسات الدينية إرضاء لمسئولهم الذين يقومون بها ويطلبونها من رفاقهم، ومن أجل الصعود في الحزب والدولة.

إن هذه الحالة قد جعلت الحزب في وضع لا ينتبه فيه بالدقة المطلوبة لنمو الظاهرة الدينية السياسية، ولتأثير مسافة العداء بينها وبينه. فعندما يكون الحزبيون في حالة من البلبلة الفكرية والسلوكية إزاء المسألة الدينية، وإزاء الممارسات الدينية فإن يقظتهم إزاء محاولات استغلال الممارسات الدينية سواء كانت عادية أو منحرفة باتجاه سياسي معاد للحزب والثورة تكون ضعيفة، مما أفسح المجال لنمو الظاهرة الدينية السياسية بدون يقظة كافية من قبل الحزب.

- ثم يضيف التقرير في ص 301 قائلاً:

إن هذا السلوك يؤدي شيئًا فشيئًا إلى التمايز بين الحزبيين على أساس طائفي، في الوقت الذي شكل الحزب وعاءً موحدًا لكل المنتسبين إليه بصرف النظر عن منشأهم الدينية والمذهبية وهذه ظاهرة خطيرة جدًا تمس جوهر العلاقة الحزبية وتؤدي إلى زرع الانقسامات اللاموضوعية في الحزب.

قبل بروز الظاهرة الدينية السياسية كخط سياسي ذي شأن بعدة سنوات نبه الرفيق صدام حسين إلى الأخطاء التي يرتكبها لا حزيون إزاء المسألة الدينية والظاهرة الدينية السياسية التي سبقت الإشارة إليها، كما حذر من أن استمرار ممارسة هذه الأخطاء سيغذي هذه الظاهرة ويشجع الانقسامات المذهبية في صفوف الشعب ويضعف الحزب والثورة.

وقد تكررت تحذيرات الرفيق صدام حسين في مناسبات عديدة وقالها في القيادة وفي اجتماعات الكادر، كما نشر له حديث مركز خاص بهذه المسألة بعنوان "نظرة في الدين والتراث" ومن الضروري هنا تسجيل أسف القيادة لأن هذه التحذيرات لم تؤخذ بالجدية المطلوبة من قبل الرفاق الذين كانوا يمارسون هذه الأخطاء واستمروا في ممارستها تلك بعدها لفترة طويلة حتى وقت متأخر عندما شددت القيادة على مواجهة هذه الممارسات الخاطئة فقلت نسبياً.

ثم يختم التقرير كلامه عن هذه المسألة بطلب اتخاذ موقف مبدئي من انتشار الطقوس الدينية وبعض الأفكار الإسلامية بين أعضاء حزب البعث فيقول في ص 302:

[إننا في هذا المؤتمر مطالبون باتخاذ موقف مبدئي متكامل ونهائي من هذه المسألة لكي يخرج الحزب بموقف موحد في النظرة وفي السلوك. وقبل ذلك علينا أن نتساءل، إذا كانت مفاهيم وممارسات التدين قد اعتبرت من قبل بعض الرفاق بديلاً أخلاقياً أو عقائدياً عن حزب البعث الاشتراكي وسبيلاً لحل المسائل الجوهرية في الحياة فلماذا اختاروا حزب البعث الاشتراكي؟

ولماذا بعد أن قطعوا شوطاً طويلاً في الحزب يريدون فرضها عليه أو إشاعتها فيه من دون أن يكون لذلك أساس في عقيدة الحزب، وفي تقاليده، ومن دون أن تقر هذه المفاهيم والممارسات من قيادة حزبية مسئولة أو من مؤتمر حزبي مسئول؟

وليس فيما يتعلق بهذه الظاهرة فقط وإنما يجب أن نضع نصب أعيننا مسألة جوهرية بالنسبة للحزب لا يجوز التسامح فيها في المستقبل على الإطلاق، تلك هي أنه ليس من حق أي عضو في القيادة أو في أي مرتبة من مراتب الحزب، كما ليس من حق أي مجموعة في الحزب أن تنشر في صفوف الحزب أو تفرض على أعضائه مفاهيم أو مقاييس أو معايير جديدة للتقويم لست مقرة من مؤتمرات الحزب ومن قياداته العليا ولم يجر التوصل إليها من خلال المناقشة الديمقراطية.

إن المنهج الصحيح في التعامل مع المسألة الدينية ومع الظاهرة الدينية السياسية هو ذلك الذي رسم خطوطه المركزية الأساسية الرفيق صدام حسين في كراسي "نظرة في الدين والتراث". فهو يقول: عندما نتحدث عن الدين والتراث باعتزاز يجب أن نفهم أن فلسفتنا ليست التراث ولا الدين بحد ذاتيهما، إن فلسفتنا ما تعبر عنها منطلقاتنا الفكرية وسياستنا المتصلة بها].

هذا هو حزب البعث في أجلى صورة نفاقية عرفها هذا العصر وأوضح كفر علماني واشتراكي.

إنه مسخ عجيب رأسه رأس خنزير النصارى وجسمه جسم دب الماركسيين وقوائمه نصيرية ودرزية وإسماعيلية ونصرانية وجوفه مليء بصديد العلمانية وقيحها وتناجه أشلاء ملايين مسحوقه تسيل دماؤها من أظافره وأشداقه.

وفي ختام الختام أخص عقيدة البعث فيما يلي:

1- يجعل حزب البعث الاشتراكية ديناً والعلمانية اللادينية مسلماً ومنهجاً.

2- يجعل حزب البعث الرابطة بين العرب رابطة الدم والقرباة واللغة والتاريخ والأرض، ويلغي تماماً رابطة الدين والتقوى بحجة أنها تمزق الأمة.

3- يدعو الحزب إلى تحرير الإنسان العربي من الرجعية والخرافات والغيبيات ويريدون بذلك الإسلام.

4- يرى حزب البعث أن الحركات الإسلامية والمؤسسات الإسلامية والشخصيات الإسلامية والتي تدعو إلى تطبيق شرع الله والدول التي تحكم بالإسلام عقبات يجب التخلص منها من أجل بناء المستقبل العربي.

5- يرى حزب البعث أن الوحدة العربية حقيقة حتمية لا بد من تحقيقها بالانقلاب والثورة والعدوان العسكري والاحتواء التنظيمي للشخصيات السياسية والعسكرية المؤثرة أو الشخصيات ذات النفوذ الثقافي والمكانة الثقافية. وبناء على حتمية الوحدة العربية عنده فإنه يرى أن الوحدة الإسلامية حلم وهراء وأسلوب عدائي ضد القومية العربية.

6- يرى حزب البعث أن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم وشخصياته البارزة إنما هم شكل من أشكال التعبير عن القومية العربية.

7- يرى حزب البعث أن الإسلام مجرد قيم روحية وشعائر عبادية لمن أراد ذلك.

8- يقول حزب البعث: إن العروبة هي ديننا نحن العرب من مسلمين وغيرهم لأن العروبة وجدت قبل الإسلام والمسيحية ويجب أن نغار عليها كما يغار المسلمون على قرآن محمد والنصارى على إنجيل عيسى.

9- يترسم حزب البعث الخطوات الماركسية في الأفكار والممارسة والخلاف بينهما أن الماركسية أممية وأما البعث فقومى، وما عدا ذلك فإن الأفكار الماركسية تمثل العمود الفقري في فكر الحزب ومعتقداته.

10- يرى الحزب أن الحدود بين أجزاء البلدان العربية يجب أن تزول وتقوم دولة العرب الواحدة بحكومة واحدة على أساس بعثي وعلى عقيدة علمانية.

11- كان الحزب ولا يزال واجهة انضوت تحته كل الاتجاهات الطائفية المعادية للإسلام «درزية ونصيرية وإسماعيلية ونصرانية» وأخذ هؤلاء يتحركون من خلال حزب البعث بدوافع باطنية يطرحونها ويطبّقونها تحت شعار الوحدة والحرية والاشتراكية والقومية والثورة والتقدمية.

12- لافتة حزب البعث هي [أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة] ويعنون بالرسالة الخالدة أن الأمة العربية ذات رسالة تظهر بأشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ وأنها مرة عبرت عن نفسها بشريعة حمورابي ومرة بالشعر الجاهلي ومرة بعبقرية محمد صلى الله عليه وسلم. وأن الإسلام لا يعدو أن يكون نبتة ظهرت في أرض القومية العربية.

هذا هو حزب البعث تاريخًا وعقائد وهو ليس سوى أحد التعبيرات العلمانية التي هي الشرك الأكبر في هذا العصر. والتي تظهر مرة في دبابات وطائرات ونيران حزب البعث ومرة في أقلام المثقفين والأدباء الحداثيين، ومرة في المؤسسات الإدارية والاقتصادية.. ﴿هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾. وهم الذين وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله «دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها».

قالوا صفهم لنا يا رسول الله قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا».

مع تحيات:

فريق المكتبة الإلكترونية - شبكة المعالي الإعلامية

[Ma3aliebook@yahoo.com](mailto:Ma3aliebook@yahoo.com)